د. حسن أحمد يوسف نصار (*)

الشيخ عز الدين القسام
رائد الحركة الوطنية الفلسطينية المسلحة

نشأة الشيخ القسام:

هو عز الدين عبد القادر القسام ولد فى عام ١٨٨٣ فى إحدى قرى قضاء اللاذقية شمال سوريا تسمى «جبلة» يرجع نسبة إلى أسرة الكيلانى المعروفة بنزعتها الدينية الغيورة لدرجة التزمُّت ، تلقى تعليمه الدينى الأولى فى تلك الأسرة فحفظ ثلثى القرآن الكريم واطلع على التفاسير المختلفة للأحاديث النبوية الشريفة ولم يكد يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى انتقل إلى القاهرة ليلتحق بالجامع الأزهر والدراسة به على يد كوكبة من أبرز العلماء فى مقدمتهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

ومما لاشك فيه أن عز الدين القسام فى هذه المرحلة من صباه تأثر إلى حد بعيد بالاتجاهات الوطنية التى سادت مصر آنذاك ضد الاحتلال البريطاني، وقد اصطبغ بالصبغة التى سادت معظم الطبقة المتوسطة من المثقفين المصريين وهى النيوغ فى الخطابة هذا بالإضافة إلى تحصيله العلمى الغزير وحسن معشره وطيب أخلاقه ، وبعد أن انتهى القسام من دراسته فى الأزهر عاد إلى سوريا واشتغل بالوعظ والإرشاد فى جامع السلطان إبراهيم أدهم لفترة طويلة أصقلت من مواهبه الشخصية وأكسبته خبرة بأفئدة البشر وطبائعهم[١] .

---

* مدرس بكلية الآداب – جامعة جنوب الوادى .

لم يكتف القسام في سوريا بنشر العلم بل شارك في حركة الجهاد التي اندلعت في كافة ربوع بلاد الشام أثر اتفاقيات التقسيم بين الدول الاستعمارية في عام ١٩٢٠ وكان كغيره من أبناء سوريا يأمل تحقيق أهداف الحركة الوطنية العربية التي تحالفت مع الحلفاء في ظروف الحرب العالمية الأولى غير أن تراجع الحلفاء عن وعودهم وقيام كل من بريطانيا وفرنسا بتقسيم منطقة المشرق العربي بينهما أدى بطبيعة الحال إلى ردود فعل وطنية في سوريا بوجه عام وعلى الأخص في الأجزاء الشمالية واشتعل هذا الجزء بحركات ثورية ابتداء من عام ١٩١٩ لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي ، وسارع القسام بالانضمام لصفوف الثوار وشارك في قيادة حرب العصابات مع «عمر البيطار» في جبل صهيون .

في هذه الفترة أخذت منطقة جبل العلويين تشهد قيام ثورة كبيرة بقيادة الشيخ «صالح العلي» ١٩٢٠-١٩٢١ فانضم القسام مع بعض إخوانه من قرية (جبلة) من أمثال «محمد الحنفي» و«علي الحاج عبيد» إلى هذه الثورة وظلوا يحاربون في صفوفها وقد أبلوا بلاء حسنا وكان لهم الفضل في استمرار عنف ثورة جبل العلويين لدرجة أن السلطة العسكرية الفرنسية أرسلت رسولا إلى القسام يعده بتولية منصب القضاء وبذل العطاء له إذا ما تخلى عن مؤازرته للثورة ولكن القسام رد الرسول خائبًا . وبعد أن تمكنت القوات الفرنسية من إخماد ثورة جبل العلويين حكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالإعدام(٢).

اضطر عز الدين القسام ورفيقاه إلى الاختفاء مع مجموعة من الذين صدرت ضدهم أحكام بالإعدام ومن جهتها تابعت السلطات الفرنسية ملاحقة المحكوم عليهم، عندئذ لم يجد القسام بدًا من مغادرة المنطقة الشمالية التي سيطر عليها الفرنسيون في سرية تامة إلى المنطقة الجنوبية (فلسطين) والتي تحت السيطرة الإنجليزية ، وتقول ابنة الشيخ القسام نقلاً عن والدها إنه أحاط لجوءه مع زميليه بالكتمان الشديد حيث كانوا يختبئون نهارًا ويسيرون ليلاً حتى وصلوا الأراضي الفلسطينية عن طريق «رأس الناقورة» بعد رحلة شاقة زحفًا على البطون فوصلوها وكأنهم هياكل عظيمة من شدة المتاعب التي صادفتهم(٣) واستقر بهم المقام في حيفا في ٢٥ / ٢ / ١٩٢٢م.

كانت حيفا عندما هبط إليها الشيخ القسام سريعة النمو في عمرانها فهي مرفأ فلسطين الأول وأقرب مدنها إلى لبنان وبيروت ودمشق وهي بلدة مختلطة ومتعددة الأقوام والجنسيات هذا إلى جانب أنها قاعدة من قواعد التهويد مما أسبغ عليها حساسية خاصة ، ويبدو أن

وجود الزعيم الوطنى السورى الشيخ «كامل القصاب» فى حيفا آنئذ من بين الأسباب التى جعلت القسام يتخذ منها مقراً ومقاماً إذ أن «القصاب» كان يعمل مديراً للمدرسة الإسلامية الأهلية التى أسستها الجمعية الإسلامية فى حيفا وقد تمكن القسام نظراً لمؤهلاته العلمية وخبرته فى التدريس ومساعدة الشيخ القصاب من الحصول على وظيفة مدرس فى تلك المدرسة[٤] وإلى جانب وظيفته الرسمية فى المدرسة الإسلامية قام بالتدريس مجاناً فى جامع النصر.

لم يكن حكم الإعدام الذى صدر ضد الشيخ القسام ولجوئه إلى فلسطين ليحول دون احتفاظه بمبادئه الوطنية بل أن وصوله إلى فلسطين حيث الاستعمار البريطانى قد زاد من قناعته الثورية ضد الاستعمار[٥] من هنا رأى أن يتخذ لنفسه منهجا قام بتنفيذه دون إثارة الشبهات حوله فابتدأ أولا فى نطاق المدرسة التى عمل بها انطلاقا من اعتقاده بأهمية توعية العناصر الطلابية الشابة بالكفاح المقبل وأدرك القسام بثاقب بصره أن الطلاب أكثر من غيرهم فهما لما يريده ، وأعمق وعيا لمخططات الاستعمار البريطانى الذى أراد فصل فلسطين عن بقية بلاد الشام وتهويدها . وهكذا شرع القسام فى تأسيس حلقات سرية من المخلصين له وذلك للإعداد النفسى للثورة وكانت تلك الحلقات فى ازدياد مستمر[٦].

تزايدت مشاعر القسام القلقة مع تزايد الأخطار الصهيونية التى تعرضت لها البلاد والتى كان من أبرزها دخول المستوطنين الصهاينة بأعداد هائلة، ففى عام ١٩٢٤ دخل إلى أرض فلسطين ١٢,٨٥٦ من العنصر الصهيونى، ثم ازداد العدد العام التالى ١٩٢٥ إلى ٣٣,٨٠١ وبذلك أصبح عددهم ١٢١,٧٢٥ بعد أن كانوا عام ١٩١٨ حوالى ٥٦ ألف فقط. كما ازدادت مساحة الأراضى التى أصبحت فى حوزتهم من ٤٢٠,٥٠٠ دونم عام ١٩١٤ إلى ما يقرب من ٩٠٠,٠٠ دونم حتى بداية عام ١٩٢٥ كما ارتفع عدد المستوطنات اليهودية من ٤٧ إلى ٩٦ خلال هذه الفترة[٧] وكان كل ذلك بتسهيل من المندوب السامى البريطانى الصهيونى الأصل «هربرت صموئيل» .

استمر القسام يركز فى دروسه على الروح والأخلاق الوطنية السليمة وكان سبيله إلى ذلك انتقاء العناصر الوطنية بإحساسه الغريزى إذ كان يراقب المصلين وهو يخطب فيهم فوق المنبر ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد لزيارته فى منزله ثم تتكرر تلك الزيارات إلى أن ينخرط هذا التلميذ فى مجموعة سرية صغيرة لايزيد عددها من خمسة أفراد[٨] وعن طريق تلك الخلايا العنقودية بدأ فى ممارسة ما كانت نفسه تصبو إليه وهو تكوين عصابات إيمانية

ثورية مدربة شروطها الأساسية أن يقتنى العضو السلاح على نفقته الخاصة وأن يتبرع بما يستطيع للعصبة التى ينتمى إليها [٩].

ولم يكد الشيخ القسام يشعر بأن دعوته بدأت تؤتى أكلها بين قطاعات الشباب حتى أخذ يشجعهم سراً على تأسيس جمعية لهم أطلق عليها جمعية الشبان المسلمين (فى حيفا) ولما اشتد ساعد تلك الجمعية أسرع بالانضمام إليها[١٠] ليتخذ من عضويته فيها ستاراً لتغطية أعماله الوطنية من الإعداد والتنظيم [١١]. وتذكر ابنة عز الدين القسام نقلا عن والدها أنه استطاع من خلال جمعية الشبان المسلمين إلى أن يضيف إلى مهمتها الدينية مهمة أخرى اجتماعية قد يفتقد إليه المجتمع العشائرى فى جنوب بلاد الشام حينذاك مثل تقديم العون للمحتاجين وإمداد المرضى بالعلاج على نفقتها الخاصة والاحتفال بالمناسبات الدينية والاجتماعية . وقد نجح القسام فى أن يضم إلى جمعيته أكبر عدد من الشباب حتى وصل عدد أعضائها إلى ٦٠٠ عضو خلال عامين فقط ، فكان يوكل إلى كل مجموعة أو عصبة بعض المهام الإدارية والواجبات العامة وحتى لاتخرج تلك التكليفات عن نطاق السرية وتصل إلى عيون السلطة البريطانية أو العصابة الصهيونية ، وكانت الأوامر تدون على جدران الجمعية أو المساجد التى يخطب فيها وذلك على شكل رموز[١٢] ومن هنا يمكن أن نقول إن هذا الشيخ الأزهرى فطن مبكراً إلى أهمية التخطيط لحرب العصابات التى تعتمد اعتمادا كليا على الكتمان، وكان يردد دائما قول الرسول الكريم «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» كما فطن أيضا إلى أهمية الشفرة أو الرموز فى إبلاغ ما تعده القيادة العليا لهذا التنظيم إلى أفراد الخلايا القسامية المتناثرة.

أدى النجاح الذى حققته جمعية الشبان المسلمين فى حيفا إلى الدفع بكثير من الشباب المسلم فى بقية المدن الفلسطينية إلى تكوين جمعيات على غرارها وكانت مدينة نابلس من أسبق المدن فى هذا المجال وتكللت جهود مجموعة من أولئك الشباب كان من بينهم «محمد عزة دروزه» إلى وضع دستور لجمعية الشبان المسلمين بها ودعوة جميع طوائف الأمة لمناصرة الجمعية[١٣] ثم تلى تلك الخطوة إنشاء جمعيات مماثلة فى كافة مدن فلسطين.

بدأ نطاق دعوة القسام يتسع منذ عام ١٩٢٩ عندما عُين مأذونًا شرعيًا من قبل المحكمة الشرعية فكان يخرج إلى القرى ويحضر حفلات الأعراس مما هيأ له فرصة لدراسة نفسية الجماهير وكان يتصل بسائر طبقات الشعب لا فرق بين متدين وغيره إيمانا منه بأن إصلاح

المستهترين أولى من إصلاح غيرهم وكان هذا الأسلوب قد جعله محل انتقاد من قبل بعض الشخصيات بل أدى فى كثير من الأحيان إلى عقد مناظرات بينه وبين أصحاب الرأى المعارض مثل «صالح الحورانى» ، وكان القسام فى دعوته للثورة الوطنية الفلسطينية يتكتم ما يعده من إجراءات أو استعدادات للوقوف فى وجه الصهيونية ومنع إقامة وطن قومى يهودى ولم يبح به إلا لأشخاص قلائل بعد دراسة مستفيضة لهؤلاء الأشخاص قد تطول لعدة سنوات ومن هذا المنطلق ظل يعمل بكل الوسائل لتأسيس نواة صالحة من عرب فلسطين لكى يهيئهم فى الوقت المناسب للانطلاق نحو الثورة (١٤). أدرك القسام أن نشاطه يجب ألا يقتصر على المدرسة التى يعمل بها أو الجمعية التى ينتسب إليها ذلك أنه لابد من توعية الجماهير داخل أماكن تجمعات تصطبغ بالصبغة الدينية الشرعية فلم يكن أمامه سبيل إلا حصوله على وظيفة إمام لأحد المساجد فى حيفا وهو مسجد النصر(١٥) ووضع برنامجًا لذلك يقوم على إلقاء دروس يومية عقب كل صلاة بالإضافة إلي خطبة أيام الجمعة ، وأخذ القسام رويدًا رويدًا يكتسب شهرة واسعة بين سكان حيفا بشكل عام ، وفى هذه الفترة كان قد تم إنشاء أكبر مسجد فيها وهو جامع الاستقلال فسعى حتى انتقل إليه(١٦) ليصبح فى استطاعته الاتصال بأكبر قدر من المصلين.

كانت الفترة السابقة من عام ١٩٢٢-١٩٢٦ بمثابة مرحلة التجهيز والإعداد فى تاريخ التنظيم القسامى إذ اقتصرت على إجراء دراسات ميدانية لما يجرى فى الساحة الفلسطينية كأساس لابد منه قبل التخطيط الثورى ولاشك أن تجارب القسام السابقة فى الثورات السورية قد أكسبته الكثير من الخبرة فأدرك أهمية العمل السرى فى نجاح أى تنظيم، وتقول ابنة القسام إن والدها اتفق مع بعض المخلصين من أصدقائه على حمل راية الثورة وتعاهدوا على أن يقدموا حياتهم فداء على مذبح الوطن ليعطوا لأبناء أمتهم درسًا بليغًا فى التضحية ، فكان ينتقى أصحابه من أهل الدين والعقيدة الصحيحة ويقوم بتدريبهم فى رحلات ليلية كما كانوا يقومون برحلات استطلاعية يتمرنون فى أثنائها على إصابة الهدف(١٧).

ومما لاشك فيه أن الشيخ القسام «رغم تعليمه الدينى الذى يبتعد كل البعد عن التكتيك العسكرى إلا أنه كان واسع الأفق خلقت منه أحداث شمال بلاد الشام قائدًا عسكريًا متمرسًا على فنون حرب العصابات فكان يقسم إخوانه إلى وحدات عسكرية منظمة ، وحدة خاصة بشراء السلاح ووحدة أخرى للتدريب العسكرى ووحدة للتجسس على الإنجليز والصهيونية

ووحدة للدعاية للثورة فى المساجد والمجتمعات ووحدة للاتصالات السياسية وهذا كله رغم إمكانياته المحدودة ورغم مراقبة السلطة لكافة تحركاته هو وأعوانه (١٨).

كانت جموع الفلاحين تزداد فى حيفا بعد تزايد عمليات الطرد الجماعية التى تقوم بها السلطة البريطانية أو نتيجة اغتصاب الشرائم الصهيونية لأراضى الفلسطينين ولاشك أن هذه الطبقة كانت أكثر من غيرها استعدادا للتضحية والعمل، ولقد أدرك القسام هذه الحقيقة فأخذ يكثر من الاتصال بهم داخل المسجد فيحدثهم ويستمع إلى شكاواهم ويحس بآلامهم ويتردد عليهم فى أحيائهم التى اتخذوها مستقراً لهم وكانت هذه الأحياء تتألف فى أغلب الأحيان من أكواخ من التنك والخشب(١٩) ثم جعل من بيته مدرسة ليلية خاصة يستقبل فيها تلك الطبقات بهدف تعليمهم وتوعيتهم(٢٠).

تعتبر الفترة من ١٩٢٦-١٩٢٨ هى بداية المرحلة الثانية فى تاريخ التنظيم القسامى إذ بدأ القسام فى تنظيم أولئك الأوائل من الذين استجابوا للدعوة وكان فى مقدمتهم : العبد قاسم، محمد زعروره ، محمد صالح ، وخليل محمد عيسى(٢١) ثم تزايد عدد التنظيم القسامى بعد انضمام أكثر من أربعين شخصًا يرتبطون ببعض عن طريق حلقات محدودة العدد على كل حلقة أو مجموعة نقيب يقوم على قيادتهم وتوجيههم، وكل خلية من تلك الخلايا لاتعرف غيرها من الخلايا السرية التى تنتمى إلى التنظيم ، وكان على كل من يتطوع أو يشترك فى إحدى هذه الخلايا الثورية أن يدفع اشتراكًا شهرياً بحسب طاقته على ألا يقل عن عشرة قروش(٢٢) وحتى يزيد القسام من دخل التنظيم فى هذه المرحلة فقد أعلن قبوله للتبرعات، وبدأت تفد إليه طوائف الشعب الفلسطينى تمد له العون رغم شظف العيش بين أغلبية السكان.

كان التنظيم القسامى فى خلال هذه الفترة ينمو ببطء وسط إجراءات بالغة من الحذر والسرية وقد اقتصر نشاط القسام فيها على كسب الأنصار وإعدادهم عقائديًا وتدريبهم على استعمال السلاح فى السر(٢٣) ولعل هناك من الحوادث المواكبة لتلك الفترة ما جعل القسام وأعوانه يعمدون لاستعمال النفس الطويل إذ شهدت السنوات الثلاث ١٩٢٦ -١٩٢٨ تراجعًا فى الهجرة الصهيونية وفى انتقال الأراضى العربية لليهود إذ بينما كان عدد المهاجرين الصهاينة عام ١٩٢٥ قد بلغ ٣٣,٨٠١ إذ به يتناقص فى عام ١٩٢٦ إلى ١٣,٠٨١ ثم انخفض فجأة عام ١٩٢٧ إلى ٢٧١٣ ثم فى العام التالى ١٩٢٨ إلى ٢١٧٨(٢٤) ولعل هذه الظاهرة أدت إلى التفاؤل بزوال الخطر الصهيونى وخاصة أن أعدادًا كبيرة منهم بدأت فى

مغادرة فلسطين، وكان من الطبيعى أن يرافق هذا التراجع فى أعداد المهاجرين تراجعًا فى عمليات انتقال الأراضى العربية إلى اليهود لدرجة أن البعض أصبح يعتقد أن فكرة إنشاء وطن قومى يهودى توشك على الفشل(٢٥) لهذا سارعت الحركة الصهيونية إلى التحرك فى داخل فلسطين وخارجها لنفض الجمود الذى أصيبت به فتعمدت افتعال أحداث داخل فلسطين بهدف جذب اهتمام يهود العالم وكان سبيلها إلى ذلك العنصرية الدينية ففى النصف الثانى من عام ١٩٢٨ قام الصهاينة بنصب ستار عند حائط المبكى مخالفين بذلك العرف المتبع، هذا الإجراء أدى إلى اندلاع توتر بين أوساط المسلمين وحرصت الحكومة البريطانية من جانبها على تصعيد تلك الأزمة بوسائل غير مباشرة وشهدت البلاد حملات متبادلة من خلال بيانات الاحتجاج التى تنشر فى الجرائد وامتد هذا الصراع خارج فلسطين آخذا شكل تأليب القوى الصهيونية العالمية لمناصرة إخوانهم وتخليصهم من براثن العرب، ولقد أثمرت هذه الادعاءات لتحقيق بعض أهداف الصهيونية إذ استؤنفت الهجرة من جديد ففى عام ١٩٢٩ دخل إلى فلسطين ٥٢٤٩ كما استؤنفت عمليات الاستفزاز فانفجر الموقف فى أغسطس (آب) ١٩٢٩م .

كان من نتيجة استئناف نشاط الحركة الصهيونية منذ أواخر ١٩٢٨ واستمرار الاستفزازات الاقتصادية والدينية أن ساد البلاد جواً من التوتر دفع بعض أعضاء التنظيم القسامى إلى مطالبة القسام بضرورة البدء فى مرحلة العمل المسلح ضد تلك الأخطار المتزايدة، غير أن القسام الذى امتاز بعمق الفكر والتريث رفض الاشتراك العلنى فى ثورة ١٩٢٩ وذلك لاقتناعه بأن حجم الاستعدادات التى اتخذت حتى ذلك الوقت لم تكن كافية لإعلان الثورة إذ أن التنظيم لايزال محدودا من حيث التدريب والعدد والتمويل، ومع ذلك فقد شارك بعض أعضاء التنظيم فى ثورة ١٩٢٩ بصورة انفرادية(٢٦).

لما كان القسام يسعى جاهداً لنشر دعوته الثورية فى سائر أنحاء فلسطين فقد طلب من الحاج «أمين الحسينى» رئيس المجلس الإسلامى الأعلى حينذاك أن يعينه واعظًا متنقلاً ليستطيع الاتصال بجميع طوائف الشعب غير أن الحاج أمين اعتذر له معللا ذلك بالسير فى طريق الحل السياسى(٢٧) ويبدو أن فريقًا ممن يميلون إلى فكرة الحل السياسى ولايؤيدون الثورة العنيفة قد بدءوا يروجون لتلك النظرية مما دعى القسام إلى إلقاء اللوم عليهم وأخذ عليهم تهاونهم فى الدعوة للجهاد بل حملهم مسئولية الوضع السئ الذى يكتنف الأراضى الفلسطينية. وكان فى كل مناسبة يردد آيات من كتاب الله تتعلق بالقتال والاستشهاد(٢٨).

كانت معظم الدول العربية حتئذ مهمومة إما بمشاكل الاستعمار الجديد أو بالإرهاصات الدولية التى من شأنها الارتباط فى فلك إحدى المعسكرات الداخلة فى نطاق الحرب العالمية الثانية والتى بدأت نذرها على الأبواب مبكرا ومن هذا المنطلق لم يعول هذا المناضل الثورى كثيراً على أية معونات من الدول العربية وكان يؤمن بأن عرب فلسطين إذا شاءوا أن يحيوا فى بلادهم ويصدوا عنها الخطر الصهيونى فعليهم الاعتماد على أنفسهم غير منتظرين أن تهبط عليهم النجدات من السماء أو تأتى إليهم من وراء الحدود[٢٩] من هنا تجاوزت شهرة القسام حدود مدينة حيفا إلى القرى المجاورة مما جعل العديد من قاطنيها يواظب على صلاة الجمعة فى مسجد الاستقلال ولما رأت السلطة البريطانية هذا التأثير الواضح من القسام على نفوس مستمعيه وشكها الدائم في مشاركة بعض أفراد التنظيم القسامى فى ثورة ١٩٢٩ فقد وضعته تحت المراقبة[٣٠].

بدأ الشيخ القسام يجدد مساعيه لدى المحكمة الشرعية التابعة للمجلس الإسلامى لتعيينه مأذونًا شرعيًا لعقود الزواج بين قرى شمال فلسطين ليتخذ من تلك الوظيفة وسيلة للاتصال بالطبقات الشعبية وقد نجح القسام فى مسعاه وأخذ يتردد باستمرار على تلك القرى تحت ستار إتمام عقود النكاح وكان يركز فى أحاديثه بين جموع الفلاحين على أخطار الخلافات العائلية المتوارثة منذ الحكم العثمانى والتى كانت تزكيها حكومة الانتداب البريطانى وتعمل على الاستزادة منها وتعميقها بهدف تصدع الجبهة الداخلية وكثيراً ما يتطرق به الحديث إلى أخطار بيع الأرض والهجرة والصهيونية ولقد نجح القسام فى تحقيق أهدافه فى أوساط تلك الطبقات الشعبية بما أوتى من موهبة فى حسن الحديث وقوة التأثير[٣١].

تزايدت شكوك السلطة البريطانية تجاه القسام فى هذه الفترة ولذلك حاولت بطرق غير مباشرة تحديد نشاطاته فعرضت عليه الانتقال إلى القدس ليعمل بوظيفة مدرس فى دار المعلمات براتب قدره ٢٥ دينار وهو من أعلى الرواتب حينذاك هذا بالإضافة إلى امتيازات سكنية مجانية وتعليم بناته الثلاثة فى نفس المعهد[٣٢] غير أن القسام اعتذر عن عدم قبول هذا العرض بطريقة لبقة ليتمكن من الاستمرار فى المهمة التى نذر نفسه من أجلها.

صدقت توقعات القسام بالنسبة للثورة الشعبية العارمة إذ سرعان ما تخاذلت القيادات التقليدية أمام لجان التحقيق البريطانية فرحبت بما أسمته بريطانيا بالكتاب الأبيض وما جاء فى هذا الكتاب من بنود رغم افتئاتها على حقوق الفلسطينين ومع ذلك فقد تراجعت بريطانيا

عن تحقيق هذه المكاسب الضئيلة بالنسبة للشعب الفلسطينى وكان رد الفعل أن هيأت للحركة الصهيونية استئناف نشاطها بتقديم مزيد من الامتيازات الاقتصادية وفتح أبواب البلاد عن أخرها للهجرة الصهيونية وانتقال الأراضى إليهم فأصبحوا يملكون فى عام ١٩٣١ ما يزيد على ١,٠٥٨,٥٠٠ دونم معظمها فى أخصب الأراضى كما ازداد عددهم إلى ١٧٤,٦٠٦ ، كما قامت السلطة البريطانية فى عام ١٩٣١ بتسليح المستوطنات الصهيونية التى ارتفع عددها إلى ١١٠ مستوطنة(٣٣).

كان من الطبيعى أن يزداد عدد الفلاحين المطرودين من أراضيهم نتيجة اغتصاب الصهاينة لتلك الأراضى وكانت حيفا هى الملجأ والملاذ لأولئك العاطلين عن العمل ولم يكن بوسعهم إلا الانضمام للتنظيم القسامى باعتباره التنظيم الثورى الحقيقى وبرز من بين صفوف هؤلاء الفلاحين نماذج ثورية أقضت مضجع السلطة العسكرية البريطانية مثل الشيخ «فرحان السعدى» وهو من قرية «المزار» بقضاء «جنين» والذى شارك فى كل المظاهرات الوطنية السابقة كما شارك أيضا فى ثورة ١٩٢٩ مما جعل السلطة البريطانية تحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أعوام قضى بعضها فى سجن (عكا) والبعض الآخر فى سجن نور شمس وبعد خروجه انتقل إلى حيفا حيث اتصل بالقسام وانضم إلى حركته(٣٤) وكذلك «يوسف سعيد أبو درة» من قرية «سبلة الحارثية» قضاء جنين وقد هاجر إلى حيفا وعمل فى دائرة السكة الحديد وتعرف على القسام وتتلمذ على يديه ودخل فى تنظيمه (٣٥).

لما اتسعت دائرة القطاعات التى أخذ يعمل فيها القسام وقام بإعادة تنظيم الخلايا الثورية بهدف تشكيل اللجان المتخصصة فقسم أتباعه إلى مجموعات رئيسية تتفرع إلى حلقات صغيرة وكان من بين هذه التقسيمات الرئيسية: الوحدات العسكرية والتى انبعثت منها وحدة لشراء الأسلحة ومن قادتها البارزين الشيخ حسن الباير والشيخ نمر السعدى ووحدة للتدريب العسكرى يشرف عليها عدد من ذوى الخبرة من أمثال محمد أبو العيون (٣٦). كما كانت هناك وحدة للتجسس على اليهود والإنجليز لمعرفة خططهم السرية ومن أفرادها الشيخ ناجى أبو زيد مع مجموعة أخرى من العمال الذين يعملون فى الدوائر الحكومية وخاصة البوليس ، كما كان قسم منهم يعمل مع اليهود للوقوف على نشاطهم السرى بالإضافة إلى وحدات خاصة للدعاية فى المساجد والمجتمعات وأوكل هذه المهمة لعدد من العلماء .

وكان الشيخ «كامل القصاب» أستاذه الحميم وصديقه القديم موجهًا ومستشارًا فى هذه التنظيمات كما أسس الشيخ القسام وحدات خاصة للاتصالات الخارجية والسياسية ومن أبرز

رجالها الشيخ «محمود سالم المخزومى» والذى روى لصبحى ياسين أن عدد الذين أعدهم القسام للقيادات الجهادية وصل إلى ٢٠٠ شخص أشرف أكثرهم على خلايا رئيسية للحركة القسامية[٣٧] أما التمويل فقد أنشأ له وحدة خاصة تقوم بجمع الاشتراكات والتبرعات وقد استمر القسام عند حسن ثقة الناس به . ويشترط على العضو الذى يتم التحاقه بالتنظيم ضرورة تدبيره السلاح على حسابه الخاص[٣٨] وقد ضرب القسام مثلاً عمليًا فى التضحية عندما وكل عنه أحد أقاربه فى قرية (جبلة) ليبيع أملاكه الخاصة وخصص أثمانها لشراء الأسلحة وكان الشيخ القسام يشترى بعض هذه الأسلحة من تركيا عن طريق بعض الموردين وتذكر ابنة القسام أن أحد هؤلاء الموردين كان صحفى من بولونيا التقى بها أثناء المؤتمر النسائى العربى فى القاهرة عام ١٩٣٨ وتعرف عليها وأكد لها أنه كان من بين الذين عملوا على تهريب السلاح للحركة القسامية حيث كان يتم تسليمها فى المناطق الجبلية الشمالية من فلسطين[٣٩].

لم يكن نضال القيادات التقليدية الفلسطينية يتجاوز حدود تقديم الاحتجاجات إلى فخامة المندوب السامى البريطانى أو الدعوة إلى الإضراب على أكثر تقدير عند اكتشاف أية أعمال خطيرة للعناصر الصهيونية بينما استطاع التنظيم القسامى رغم قلة عدده أن يقوم بتشكيل عصابات ثورية من الفلاحين لمهاجمة المستوطنات الصهيونية منذ عام ١٩٣٠ وكانت أخطار الصهيونية قد تفاقمت ابتداء من مطلع عام ١٩٣٣ إذ قفز عدد اليهود فى نهايته إلى ٣٠٠,٣٢٦ هذا عدا آلاف الصهاينة الذين كان يتم تهريبهم كما تم فى نفس العام اغتصاب ما يقرب من ١٥٠,٠٠٠ دونم من أجود الأراضى العربية وكان طبيعيًا أن يواكب هذا الاغتصاب فى الأرض إجلاء الفلاحين واستخدام العنف والتصفية الجسدية ضد الكثير منهم[٤٠].

بعد اضطرابات عام ١٩٢٩ حدث انقسام داخلى فى التنظيم القسامى إذ انشق عليه بعضًا من إخوان القسام كان على رأسهم «إبراهيم الكبير» المعروف بـ «خليل محمد عيسى» وذلك نتيجة لعاملين «العامل الأول»: هو أنهم رأو أن الوقت قد حان لإعلان الثورة بينما يرى القسام أن الإعداد للثورة لم يكن قد اكتمل بعد «أما العامل الثانى» فهو رغبة المنشقين فى جباية الأموال اللازمة للثورة من الشعب بكل الوسائل الممكنة بينما كان القسام يصر على عدم فرض أية مبالغ نقدية تزيد من الحالة المادية المتدهورة لجماهير الشعب الفلسطينى ، رغم هذا الانشقاق الداخلى إلا أن ثمة روح من الود والتراحم كانت تسود بين كل من الأصل والفرع وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على مدى تقدير أولئك الثوار لرسالتهم حتى وإن اختلفوا فى الوسائل والتفاصيل بل ظل المنشقون بعد ذلك يعملون سراً ضمن مخطط القسام الثورى.

انتقلت الحركة الثورية القسامية فى السنوات التى تلت عام ١٩٢٩ إلى مرحلة جديدة من النضال ضد الصهيونية وضد الإمبريالية المتمثلة فى الكيان البريطانى ولعل زعيم التنظيم رأى أن الوقت يسمح الآن بالعمل العلنى ولكنه حرص فى نفس الوقت على اتخاذ الصفة الفردية حتى لاينكشف أمر أعوانه من المجاهدين والثوار. وشهد عام ١٩٣٣ موجة من التهويد حل فيها الصهاينة محل العمال والفلاحين العرب من دوائر الحكومة مما أدى بمجموعة من التنظيم القسامى إلى التعبير عن شعور السخط تجاه سياسة التهويد بأسلوب عملى إذ تمكن فى ذات العام أحد أعضاء التنظيم ويدعى «أحمد الغلاينى » من صنع قنابل ألغام فى معمله فى حيفا وسلم بعضا منها إلى زميل له يدعى «صالح أحمد طه» فذهب مع بعض إخوانه ووضعوا إحدى هذه القنابل فى مسكن به أربعة حراس مُن اليهود فى مستوطنة«نهلال» الواقعة بين حيفا والناصرة فقتلت اثنين وجرحت الآخرين ، كما قامت مجموعة أخرى مكونة من الشيخ «أحمد التوبة ومصطفى على أحمد» برفقتهم الشيخ صالح طه أيضا بمهاجمة المستوطنات الصهيونية فى منطقة «مرج بن عامر» وعلى الرغم من اكتشاف السلطة البريطانية لتلك الحركة الفدائية واعتقال أفرادها لمدة تسعة أشهر وإعدام «مصطفى على أحمد» والحكم على أحمد الغلاينى بخمسة عشر عاما من السجن[٤١] إلا أن الحركة القسامية لم توقف نشاطها الفدائى ضد المستوطنات اليهودية حيث قامت مجموعة من أفراد التنظيم بأعمال فردية ليلية سريعة كان من بينها شن هجوم على مستوطنة «العفولة» وقتل مختارها اليهودى، كما تعرضت مستوطنة «عتليت» لهجوم آخر وكذلك السيارات التى كانت تنقل العمال اليهود إلى المستوطنات القريبة من قرية «الياجور»[٤٢].

وفى بداية عام ١٩٣٤ شعر القسام بأن ثمة مزيد من الخطر يهدد الحركة الوطنية الفلسطينية وذلك إثر الصراع العائلى الذى أصاب القيادات التقليدية على رئاسة اللجنة التنفيذية التى من المفترض أنها تشكلت من أجل انتزاع الحقوق الفلسطينية السليبة من السلطة البريطانية ومن شرائم الصهيونية، ثم لم تلبث تلك القيادات أن انشغلت بمهزلة انتخابات البلدية وتبادل الاتهامات والانصراف إلى تشكيل تكتلات حزبية عائلية بعيدة عن جماهير الشعب وأدرك القسام أن هذا الانقسام قد استنزف جزءًا كبيراً من طاقة الشعب التى كان من الواجب توجيهها لمقاومة الانتداب البريطانى وعصابات اليهود، ومما زاد فى قلقه ما كانت تقوم به تلك القيادات من تقارب مع السلطات البريطانية فى صورة التماسات تقليدية

واعتبر أن ذلك مضيعة للوقت لاتستفيد منه إلا الحركة الصهيونية لاسيما أن مزيدا من الهجرة الصهيونية قد عرفت طريقها إلى داخل البلاد إذ بلغ عدد اليهود الذين وصلوا فى نفس العام ١٩٣٤ إلى ٤٣,٣٥٩ مهاجرا . وفى المقابل فإن القسام كان يرى أن جموعًا جديدة من الفلاحين قد طردت من أراضيها بعد أن تمكن اليهود من شراء ١٦٠,٠٠٠ دونم بل بلغ الأمر بالصهاينة إلى حد الاعتداء العلنى على بعض العمال العرب لحرمانهم من فرص العمل القليلة المتبقية أمامهم (٤٣).

إزاء هذا الوضع المتردى أخذ عز الدين القسام يكثف نشاطه الثورى فى اتجاهين متوازيين الأول هو تأليب الرأى العام وتعبئة طاقات الأهالى ضد الاستعمار والصهيونية بكافة السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة ، أما الاتجاه الثانى فهو الكفاح المسلح ضد ما أسماهم المارقين وعصابات الكفر والإلحاد . وشهد عام ١٩٣٥ أحداثًا مؤسفة فى داخل الأراضى الفلسطينية مما أدى إلى تفاقم الحالة بوجه عام منها استخدام الصهيونية للفتيات اليهوديات فى التأثير على بعض شباب العرب والتلويح بورقة الجنس فى سبيل جذب هؤلاء إليهم واغتصاب المزيد من الأراضى الفلسطينية أو الانضمام إليهم والعمل فى صفوفه بإغرائهم بشتى الوسائل المادية ، وتعمد القسام أن يذهب مع مجموعة من رفاقه إلى المدن الفلسطينية المطلة على البحر المتوسط والتى عن طريقها يتم تهريب اليهود ليلقى بالزيت على الوقود المشتعل وكان من نتيجة تلك السياسة إضراب جميع العمال فى مدينة يافا عن الطعام كرد فعل لقيام السلطة البريطانية بطرد بعض إخوانهم من العمل(٤٤) وذلك فى ٥ مارس ١٩٣٥م.

بدأت الاستفزازات الصهيونية والبريطانية ضد الحركة الوطنية الفلسطينية تتخذ الشكل العلنى الصريح وذلك بوضع العراقيل أمام الحجاج المسلمين والمسيحيين الراغبين فى زيارة الأماكن المقدسة ومنعهم بالقوة من الوصول إليها وإمعانا فى الاستخفاف من تقاليد سكان البلاد وعقائدهم وإيمان الصهونية العالمية بما للجنس الناعم اليهودى من أثر فعال فى صراع يقوم فى الكثير منه على الأسس الدينية والأخلاقية فقد لجأت تلك العصابات إلى تهريب كثير من اليهوديات فى زى مسلمات عن طريق جسر يصل بين البحر الميت وسوريا كما اتخذت من طريق (مخاضتى أم الشرب والمقدسة) الواقعتين بأريحا سبيلاً للتسلل إلى البلاد لاسيما أن المتسللات كن يجدن المساعدة من أبناء جلدتهم فى مستعمرة «غور الصافى» بعد أن تقوم اللنشات بحملهم إليها(٤٥).

كانت المقاومة السلبية لقيادات فلسطين التقليدية كما سبق القول- سببًا غير مباشر فى الجهر بالحركة القسامية بل ورميها بعدم الشرعية من قبل هذه القيادات التى اكتفت بالولولة والعويل والوقوف موقف المتفرج من تدنيس الأرض والعقيدة ففى بيان لمكتب الحزب العربى الفلسطينى جاء فيه «لقد أمَّ فلسطين لحضور حفلات (المكابياد) الرياضية هذه السنة عشرات الألوف من اليهود وأخذوا يستعرضون قواهم العسكرية المتسترة بستار الرياضة البدنية ... واليوم وقد انتهت حفلاتهم فقد أخذت جموعهم تجوس خلال الديار وانتشروا فى كل مكان وظهروا للناس بعادات تردُّت فيها الأخلاق الرياضية وتصرفات تنهى عنها الأديان السماوية وأماطوا لثام الحياء فى هذه البلاد المقدسة، وما قصدوا من ذلك إلا غزو الأخلاق العربية والفضائل الإسلامية كما غزوا الأراضى المقدسة[٤٦].

لم يعد أمام التنظيم القسامى إلا تكثيف جهوده فى مواصلة العمل الفدائى المسلح ضد كل ما هو معادى للحركة الوطنية الصادقة وقوبلت قرارات الاحتجاج والتنديد التى أصدرتها القيادات الرسمية الفلسطينية بالمزيد من الضربات المؤثرة فى جسد الكيان الصهيونى ولم يبال القساميون بالتشنجات المعادية ممن آثروا الاستكانة والاستسلام والصاق الصفات المشينة بهم وساروا فى الطريق الذى رسمه لهم زعيمهم حتى التحمت بهم كافة طوائف الشعب الفلسطيني وقد ازداد وعى أولئك البسطاء بمدى أهمية استرجاع حقوقهم الاقتصادية والانخراط فى العمل السياسى المنظم تحت مظلة القسام أيضا لمواجهة تلك الأحزاب الهزيلة التى تشكلت ولم يكن لها من هدف سوى استعطاف المندوب السامى البريطانى لمباركة تنظيماتها التى عبرت فقط عن رغبات فى تصفية الخلافات العائلية القديمة وجاء أول تعبير عن الاحتجاج الوطنى ضد الإمبريالية فى شكل إضراب للسائقين فى كافة المدن الفلسطينية الرئيسية والتى أصيبت بالشلل نتيجة توقف المواصلات وعلى الرغم من انعدام وجود رابطة أو هيئة يجتمع تحت لوائها تلك الطائفة المهنية إلا أن دقة التوقيت الذى أعلن فيه الإضراب يشير إلى وجود قيادات على وعى كبير بالعمل الثورى هى التى تخطط وتوجه هذه الانتفاضات[٤٧] وأشارت أصابع الاتهام إلى الشيخ القسام.

لم يكن فلاحو فلسطين أقل وعيًا من بقية الطوائف الشعبية بحقوقهم السياسية ورأوا أن الموقف الوطنى يحتم عليهم - إزاء هذا الصراع الحزبى- الانضواء تحت راية واحدة تعمل من أجل صالحهم. وتقول جريدة «مرآة الشرق» «أن هناك حركة بين الفلاحين ترمى إلى استبدال

الأحزاب السياسية الحاضرة بهيئة وطنية مستقلة وقالت إن هناك أكثر من ألف فلاح سيجتمعون قريبًا فى «بيت جبرين» بالقرب من الخليل ... وأن هؤلاء الفلاحين يعتزمون تشكيل حزب جديد إذا رفض الزعماء تأييد خطتهم ... كما أن هناك بعض الفلاحين من نابلس وجنين وطولكرم قرروا تكوين حزب للفلاحين باسم «حزب الزراعة» للدفاع عن مصالحهم(٤٨).

وفى خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٥ شهدت المناطق الشمالية من فلسطين مزيداً من عمليات الكفاح المسلح فى صورة فردية وتركز معظم تلك العمليات فى منطقة المثلث العربى جنين- نابلس - طولكرم حيث تكررت حوادث اغتيالات الضباط الإنجليز ونسف القطارات(٤٩) وقد أشار التقرير السنوى لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ إلى أن الحكومة كان لديها شك كبير فى أن لعصابة الشيخ القسام علاقة بالأعمال الإرهابية التى حدثت خلال السنوات السابقة(٥٠). وكان القسام يهدف من وراء تصعيد عملياته الفردية تهيئة الجماهير الشعبية وإعدادها لمساندة الثورة عند إعلانها هذا من جهة ومن جهة ثانية لإحراج القيادات الفلسطينية ودفعها للتخلص من سياستها السلبية فى مقاومة الاستعمار.

لقد ظل القسام مقتنعا بضرورة توجيه كل الصفوف وتوجيه كل الطاقات لمكافحة العدو وفى سبيل ذلك كان يجرى الكثير من المناظرات مع مؤيدى سياسة الملاينة والمهادنة وكان من أبرزهم الشيخ صالح الحورانى الذى لم يكن يؤمن بالثورة(٥١) أما بالنسبة للحاج أمين الحسينى فقد ظل القسام يقدر أهمية الدور الذى يمكن أن يلعبه فى مقاومة الاستعمار خاصة أنه أصبح بعد عام ١٩٣٣ ووفاة موسى كاظم وفشل راغب النشاشيبى فى انتخابات بلدية القدس وتشكيل الحزب العربى الفلسطينى هو الرجل الأول من الناحية الفعلية وأنه القادر على تحريك البلاد كلها ناحية الكفاح العملى ولذلك كان القسام يسعى دائما لدى الحاج أمين لإقناعه بأن يلقى بثقله إلى جانب الحركة الوطنية بشكل عملى وكان من بين هذه المساعى محاولاته لإقناعه بتخصيص قسماً من ميزانية «الأوقاف الإسلامية» الضخمة والتى كانت تزيد عن نصف مليون جنيه لإعداد الشعب للجهاد على اعتبار أن ذلك أفضل من إنفاقها على تشييد الأبنية (مثل فندق الأوقاف بالقدس) وتزيين المساجد حتى وإن وصل الأمر إلى المسجد الأقصى(٥٢).

أدرك القسام أن مهمته فى الإعداد والتهيئة قد نجحت إلى حد كبير وخاصة فى الأجزاء الشمالية من فلسطين وأن سكانها على استعداد للتضحية ونظراً لأنه كان يؤمن بالثورة

الشاملة وأن الحاج أمين الحسيني له من المكانة في نفوس الأهالى فى القطاعين الأوسط والجنوبى من فلسطين فقد سعى لديه للقيام بتهيأة النفوس فى تلك المناطق للثورة وأرسل القسام أحد إخوانه وهو «محمود سالم المخزومى» إلى الحاج أمين ليخبره بعزمه عن القيام بثورة فى فلسطين للقضاء على فكرة إنشاء وطن قومى لليهود غير أن الحاج أمين أجاب بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل وأن الجهود السياسية التى تبذل تكفى لحصول عرب فلسطين على حقهم(٥٣).

لاشك أن موقف الحاج أمين الحسينى المهادن للإنجليز الرافض لدعوة الشيخ القسام كان له ما يبرره وهو خوفه من إقالته من منصبى الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامى الأعلى إذا ما أبدى اعتراضاً على السياسة البريطانية ، وهذان المنصبان من أهم ركائز نفوذ الحاج أمين والمحافظة عليهما يتطلب عدم مواجهة الإنجليز والاكتفاء بالمساومة عن طريق الاحتجاجات والاتصالات ولم يكن القسام وحده هو الذى طلب من الحاج أمين الحسينى هذا المطلب ولكن طالبه أيضا بعض الشباب الفلسطينى الذين كونوا تنظيماً سرياً موازى للتنظيم القسامى ورفض الحسينى أيضا مطلبهم بنفس الحجة(٥٤).

ومهما يكن من الأمر فإن الموقف السلبى للحاج أمين لم يثن القسام عن مواصلة نشاطه فى المناطق الشمالية وكان يبعث ببعض رفاقه من قادة الخلايا الثورية إلى مسقط رأسهم ليعبئوا السكان معنوياً ويقوموا بتوجيه وتدريب أعضاء التنظيم فى تلك المناطق، وظل هذا التوسع القسامى شمالاً حتى مدينة صفد وتقول نشرة فلسطين الدورية أن أحد أفراد التنظيم ويدعى «عبد الله الأصبح» وهو من قرية «الجاعونة» شرق صفد قد تولى قيادة الفدائيين فى هذا الجـزء(٥٥) كما توسع القسام فى تدبير الأسلحة لدرجة أصبحت تكفى ألف مقاتل هذا بالإضافة إلى الأسلحة التى اشتراها أفراد آخرين من خارج التنظيم وتبرعوا بها للفدائيين وتذكر بعض المصادر أنه توفر لزعيم الحركة ما يقرب من ٨٠٠ عضو للاشتراك فى الثورة إلى جانب ٢٠٠ آخرين من العناصر القيادية فى الخلايا العنقودية (٥٦).

ازدادت الانقسامات العائلية تفاقما منذ عام ١٩٣٥ ومما زاد الأمر سوءاً حملات الاتهام المتبادلة بين أفراد هذه الأسر ومن جهة ثانية واصل الصهاينة عمليات إجلاء الفلاحين عن أراضيهم بالقوة وازداد أعداد العرب المعدمين ويقول Jeffries إنه كان فى مدينة حيفا وحدها نحو ١١,٠٠٠ من العرب الذين يعيشون فى ٢٥٠٠ من أكواخ التنك أى بمعدل أكثر من أربعة

أفراد فى الكوخ الواحد وكذلك كان الحال فى يافا وبقية المدن، وازدادت المخاوف العربية بعد انعقاد المؤتمر الصهيونى التاسع عشر فى مدينة لوسيرن Lucerne فى شـــهـر آب ١٩٣٥ وأعلن أن فلسطين هى البلد الوحيد المفتوح للهجرة اليهودية على أوسع نطاق وأن المنظمة الصهيونية سوف تركز جميع طاقات الشعب اليهودى لإعادة توسيع توطينه والإسراع فيه(٥٧).

ولكى توضع توصيات المؤتمر اليهودى موضع التنفيذ فقد وصل إلى فلسطين خلال هذا العام وبموجب الأنونات الحكومية ٦١,٨٥٤ صهيونيًا عدا آلاف المهربين وبذلك أصبح مجموعهم ٣٥٥,١٥٧ أى ما يعادل ٢٧,١٪ من مجموع السكان(٥٨) كما ازدادت عمليات بيع الأراضى هذا إلى جانب تعاظم الخطر الاقتصادى حيث تزايدت المؤسسات الاقتصادية الصهيونية التى كان عددها فى عام ١٩٢٣ حوالى ٣٣٨٨ مؤسسة يعمل بها ١٠,٥٩٥ مستخدما وقفز هذا العدد إلى ٣٥,٨٣٠ مستخدما يعملون فى ٤٦١٥ مؤسسة(٥٩) .

من جهتها لم تكتف السلطة البريطانية بالتأييد المادى والمعنوى للعصابات الصهيونية بل راحت تسعى جاهدة لإمدادهم بالأسلحة سراً وكانت الطامة الكبرى بالنسبة للعرب حينما اكتشف هذا المخطط فى ١٦ / ١٠ / ١٩٣٥م ليزيد من مشاعر السخط(٦٠) إذ كان من بين هذه الأسلحة ٨٠٠ بندقية و ٤٠٠,٠٠٠ خرطوشة (٦١). وكان القسام ينتظر أن تحرك هذه الأحداث القيادات الفلسطينية فتبادر إلى اتخاذ مواقف وطنية عملية غير أنها اكتفت بشن الحملات الصحفية فى الداخل واستجداء العون من بعض الدول الشقيقة كمصر التى كانت تئن تحت وطأة الاستعمار البريطانى(٦٢) فلم تملك إلا تقديم الاحتجاجات لدى المندوب السامى البريطانى .

لم تسفر جهود القيادات الفلسطينية للرد على حادث تهريب الأسلحة لليهود إلا على موافقة الجانب البريطانى على تنظيم إضراب عام وذلك يوم ٢٦ / ١٠ / ١٩٣٥م(٦٣) ممـا أدى إلـى إصابة القسام بخيبة أمل جديدة لاسيما بعد أن لمس ترددهم فى إقراره ، وكان من نتيجة هذا الوضع المتردى وازدياد قناعته بضرورة الإسراع فى التصدى لتلك الأخطار قبل وقوع المزيد أو فوات الآوان خاصة وأن القساميين أصبحوا فى بؤرة المراقبة من قبل السلطات البريطانية، ولاشك أن اكتشاف حادث تهريب الأسلحة لليهود دفع بالقسام إلى البدء فى عمليات الاستنفار بين صفوف التنظيم فأعاد توزيع الأدوار بحيث أبقى قسمًا منهم فى حيفا وأرسل قسما آخر إلى القرى الشمالية ليقوموا بإنذار الناس وتنبيههم لدعم الثورة عند نشوبها ، وفى الذكرى

السنوية لوعد بلفور فى ٢ / ١١ / ١٩٣٥ م كان يتوقع القسام على الأقل حدوث إضراب مماثل للإضراب السابق ولكن شيئا من ذلك لم يحدث بعد أن رفض رؤساء الأحزاب الفلسطينية هذا الإجراء.

واصلت جماعة القسام أعمالها الفدائية وبالذات فى المناطق الشمالية من فلسطين فتمكنوا فى ٧ / ١١ / ١٩٣٥ من قتل أحد أفراد البوليس البريطانى برتبة (جاويش) وتعمدت السلطة الإعلان فيما بعد إلى أن مقتله جاء على يد أحد اللصوص أثر تعقبه لمجموعة منهم من أجل السرقة فى هضاب الناصرة[٦٤] حيث دأبت السلطة على وصف الأعمال الفدائية بأنها أعمال قرصنة ونهب، وقد اضطر هذا الحادث الأجهزة المعنية فى البوليس إلى تكثيف أعمال المراقبة والتجسس ووظفت بعض الخونة كعيون لها راحت تدسهم فى صفوف القساميين من أمثال «حليم بسطة» و«أحمد نايف» ، وقد أحس القسام بمدى خطورة اكتشاف التنظيم وإلقاء القبض على أعضائه فأسرع فى خطته لإعلان البدء فى تفجير الثورة المسلحة وأعلن حالة الطوارئ فى صفوف إخوانه وطلب منهم توديع أهاليهم وعقد خلال يومى ١٠ ، ١١ من نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٩٣٥ عدة اجتماعات فى أماكن مختلفة كان أحدها فى بستان «يوسف الزيباوى» وآخر فى منزل «محمود سالم المخزومى» حيث تقرر الخروج إلى القدس الشمالية لبدء العمليات الجماعية[٦٥] كما ترك القسام رسالة لصديقه الأوفى وخليفته فى حيفا «رشيد الحاج إبراهيم» يقول له فيها «إنى واثق من نفسى وأن صوتى سيجد صداه فى كل مكان عند أول صيحة ، ونستودعك الله راجين من المولى أن يوفقنا فى أعمالنا فى سبيل الوطن»[٦٦].

الجهر بالحركة الفدائية القسامية :

كان أتباع القسام قد باع كل منهم حلى زوجته وبناته بالإضافة إلى بعض الأثاث واشتروا بأثمانها رصاصًا لبنادقهم وقصدوا الجبال القريبة من حرس الأسطول البريطانى ومن معسكرات الإنجليز وهذا دليل على أن هؤلاء القوم كانوا يدركون مصيرهم وأن بغيتهم هى الشهادة فى سبيل الله[٦٧] ويؤثر عن رجال القسام أن كل واحد منهم كان يحمل فى جيبه نسخة من القرآن الكريم الذى اتخذوه قدوة لهم[٦٨] وكان إيمانهم بأن السعادة تكمن فى بلوغهم مرتبة الشهادة والانتقال إلى الحياة الأخرى للاستمتاع بما أعده الله للمجاهدين والشهداء من نعيم[٦٩].

خرجت المجموعة الفدائية الأولى للتنظيم القسامى فى يوم ١٢ / ١١ / ١٩٣٥ م وكانت تقدر بحوالى ٢٥ شخصًا يرأسهم القسام نفسه فتوجهوا إلى منطقة جنين التى تم اختيارها

منطلقًا لأعمالهم الثورية وذلك لطبيعتها الجبلية ذات المسالك الوعرة ولاكتساءها بالأحراش الكثيفة ثم إلى جانب ذلك كله مدى ما يتمتع به القسام من تأييد شعبى فى قرى هذه المنطقة.

وكان القسام قد عين لكل منهم مهمة خاصة فى منطقة معينة وبعد وصولهم انتشر قسم منهم فى يعبد، الياعون، برقين ، كفردان ، فقوعة ، وصندلة وذلك لإبلاغ الأهالى بالمشاركة فى العمليات الفدائية فى الوقت المحدد الذى سيعلن عنه . أما القسام فقد تمركز مع مجموعة من أصحابه فى إحدى المغارات القريبة من قرية فقوعة وهم، يوسف عبدالله ، مصطفى الزيباوى، حنفى عطيه أحمد ، حمد بوقاسم خلف ، نمر السعدى، داود الخطاب ، محمود الزرعينى ، أسعد المفلح ، أحمد جابر، محمد يوسف ، محمد الحلحولى ، ومعروف جابرى وكان مع كل واحد من المجاهدين بندقية ومبلغ ضئيل من المال لشراء ما يقيم أوده ، وقد روى سكان قرية «يعبد» حيث كان القسام يرابط مع جماعة بالقرب منها «أنهم لم يسألوهم أو يطلبوا منهم شيئا فى يوم من الأيام وأنهم كانوا بالنهار يأوون إلى كهوفهم يصلون ويقرءون القرآن وفى الليل يخرجون إلى القتال »[٧٠] ولم ينس القسام حتى وهو فى ميدان القتال أن يبصر الأهالى بأخطار العصابات الصهيونية فتقول جريدة فلسطين إنه ألقى على أهالى قرية فقوعة خطبة تحدث فيها عن تهريب اليهود للسلاح[٧١].

وفى يوم ١٤ / ١١ وبينما كان «محمود سالم» و«يوسف الزبياوى» يقومان بالمراقبة والحراسة وإذا بدورية بوليس يهودية قادمة من مستوطنة «عين حارود» بهدف البحث عن أثار مجهولين شنوا هجوما فى الليلة السابقة على المستوطنة ولما أصبحت الدورية قريبة من مكان المجاهدين سارع «محمد سالم » بإطلاق النار على الدورية فأصاب منها أحد أفرادها وهو برتبة جاويش وفر الباقون وتمكنوا من الوصول إلى أقرب مركز للبوليس بالمنطقة وقد أرسل المركز مجموعة من الجنود اليهود لتمشيط الموقع بهدف الوصول إلى قاتل الجاويش ولكنهم اصطدموا مع مجموعة من المجاهدين القسامين عند قرية «البارد» وأسفر هذا الاصطدام عن استشهاد «محمد الحلحولى» ومقتل اثنين من البوليس[٧٢].

أدى هذا الحادث إلى تطور خطير فى الحركة القسامية إذ اضطرت السلطة البريطانية إلى الإسراع فى اتخاذ المزيد من التدابير العسكرية وبدأت بمراقبة المنطقة مراقبة دقيقة بغرض تحديد البؤرة التى يتمركز بها المجاهدون وكانت مجموعة من المباحث بقيادة أحمد نايف قد نجحت فى تعقب القسام ومجموعته التى كان قد اضطر فى أعقاب الأحداث الأخيرة إلى

الانتقال من قرية «فقوعة» إلى قرية الشيخ «زيد» عبر المنعطفات الجبلية وقد وصلها فى يوم ١٩ / ١١ / ١٩٣٥م ولم تتوان السلطة البريطانية فى تجريد قوة كبيرة تقدر ما بين ٤٠٠ إلى ٦٠٠ جندى وأحكمت حصاراً شديداً حول قرى المنطقة بهدف الحيلولة دون وصول أية نجدات للمجاهدين(٧٣) .

وبدت المنطقة وكأنها ساحة حرب(٧٤) وفى صباح اليوم التالى ٢٠ / ١١ / ١٩٣٥م وبمساعدة الطائرات الاستكشافية فى القوات البريطانية بدأت معركة حامية استمرت إلى ما بعد الظهر وتصف جريدة كوكب الشرق تلك الحرب الخاطفة بين القسام وأعوانه من جهة والقوات البريطانية من جهة ثانية فتقول «زحفت قوات هائلة من البوليس العربى والبوليس الإنجليزى إلى قرية يعبد ثم أخذت تصعد إلى أطراف الجبال وقممها وتحيط بالمكان من كل الجهات وكان الضباط والجنود يلتفتون هنا وهناك خوفا من أن يفاجئوا بالرصاص.. وبعد أن أتموا الاحتياطات رتب القائد الإنجليزى خطة الهجوم فى ثلاثة صفوف طويلة من أفراد البوليس العرب فى الأمام وجعل الجنود الإنجليز وراءهم ... وفوجئ الثوار بإطلاق الرصاص عليهم بشدة من أعالى القمم وهم فى الوادى، وقد بلغ ما أطلقه الجنود من رصاص فى الدقيقة الواحدة ما يقرب من ستمائة رصاصة(٧٥).

كان القسام شديد الحرص على عدم إراقة الدماء العربية بيد عربية مهما تكن الظروف والملابسات فلما رأى أن الجند العرب الملحقين بالقوات البريطانية هى التى تحارب جماعات القسام برز من بين الأحراش غير مبال بالخطر المحدق به مناديا أبناء جلدته بالتقهقر خلف صفوف الإنجليز وارتفع صوت القسام مرددا «يا أبناء العرب اتقوا الله فى وطنكم وأنفسكم لانريد أن نطلق الرصاص عليكم .. يا أبناء العرب إنكم تصوبون الرصاص إلى صدوركم وإلى بلادكم وتبيعون شرفكم بثمن بخس»(٧٦) ويبدو أن هؤلاء الجنود العرب إما استجابوا لتلك العاطفة العربية أو خشوا أن يقعوا صرعى فى المعركة الدائرة فبدءوا يتقهقرون مما اضطر القائد البريطانى أن يأمر أتباعه بالتقدم، واشتد إطلاق الرصاص بين الطرفين وسقط من المعسكر البريطانى جندى قتيلاً وأصيب ستة آخرون بجراح ، وظل القسام يحمس إخوانه بالتكبير والنداء بعدم الاستسلام حتى وهو فى ظل الرصاص المنهمر وتهديد العدو له بالاستسلام وقد أجاب على ذلك بأننا لن نستسلم وأن هذا الجهاد فى سبيل الله والوطن والتفت إلى زملائه قائلا «موتوا شهداء»(٧٧) وبعد قتال شرس استمر عدة ساعات انتهت

المعركة باستشهاد عز الدين القسام مع أربعة من رفاقه وهم : يوسف عبدالله ، مصطفى الزيباوى، حنفى عطية أحمد ومحمد بو قاسم خلف، كما جرح نمر السعدى وأسعد كلش وحسن البابر (٧٨).

يروى التقرير السنوى لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ أنه فى القتال الذى دار بين القوات البريطانية وعصابة الشيخ القسام قتل أربعة وتم أسر خمسة آخرون ثم قبض على أحد أفراد العصابة بعد ذلك ، وأن العصابة كانت مسلحة تسليحًا جيدًا بالسلاح والذخيرة(٧٩) وقد أثارت هذه المعركة عواطف عرب فلسطين وألهبت مشاعرهم فقابلوها بمظاهر جياشة من التهليل والتكبير ، وخشيت السلطة من أن يتحول تظاهر الجماهير إلى اضطراب يخل بالأمن فسلمت جثث الشهداء لذويهم وأغمضت عينها عن الاحتفال بدفنهم(٨٠) ومما يذكر أن جنود السلطة البريطانية وهم يفتشون ملابس الشهيد القسام وجدوا حجابًا فى عمامته كتب به هذا النص «أعوذ بالله من كيد الشيطان الرجيم فى كل ما أنا عازم عليه ، أعوذ بعزة الله وقدرته على قدرة الكافر وآلاته النارية وما يقدرون ، أعوذ بالله وقدرته من كل قدرة تعادينى، سبحانك رب العزة عما تصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»(٨١).

تحولت جنازة القسام إلى عرس وطنى قصده آلاف المواطنين وراحت الصحافة الوطنية تدلى بدلوها فى رثاء فقيد العروبة والثورة وأغلقت مدينة حيفا فى ذلك اليوم حدادا على الشهداء وبعد انتهائها من صلاة الغائب على أرواحهم الطاهرة فى المسجد الكبير انقلبت الجنازة إلى مظاهرة وطنية هاجمت فيها الجموع دائرة الشرطة فحطمتها كما حطمت نوافذ المحطة وأصيب عدد من رجال الشرطة الإنجليز ولولا أن جنود البوليس البريطانيين التزموا الصمت لتطور الأمر إلى درجة كبيرة(٨٢) وأبت الجماهير إلا أن تشيع جثمان الشهيد القسام إلى مثواه الأخير فى قرية «الياجور» التى تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلو مترات سائرة على الأقدام تحمل نعش الشهيد (٨٣)، وفى الخامس من يناير سنة ١٩٣٦ احتفلت «حيفا» بتأبينه وتابين رفاقه بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهادهم احتفالاً وطنيًا رائعًا، وساهم شعراء العروبة فى تلك المناسبة وقد وقف صادق عرنوس متحدثا وشاعر فقال:

من شاء فليأخذ عن القسام ... أنموذج الجندى فى الإسلام

وليتخذه إذا أراد تخلصًا ... من ذلة الموروث خير إمام

ترك الكلام ورصفه لهواته ... وبضاعة الضعفاء محض كلام

أو ما ترى زعماءنا قد اتخموا ال آذان قولا أيما اتخام

كنا نظن حقيقة ما جبروا فإذا به وهما من الأوهام[٨٤]

وتحولت فروع جمعية الشبان المسلمين إلى مكان لتقبل العزاء فى شهداء الوطنية وتوالت برقيات العزاء والتنديد بالاستعمار من كافة الدول العربية مع التمنيات للشعب الفلسطينى برأب الصداع والتكتل والصمود[٨٤].

وكان من المدهش حقا أن بعض المؤسسات الدينية ووجهاء القوم من القيادات التقليدية الفلسطينية الذين ناصبوا القسام العداء فى حياته وكانوا يدسون له لدى السلطة البريطانية راحوا يتباكون عليه بعد مماته وتسابقوا من أجل تقديم العون لأسر الشهداء وهم ينعتون الشهيد بالمناضل الثورى بعد أن كان زعيما لعصابة لا هم لها سوى النهب والسلب والقتل ووصل النفاق ببعض أولئك الزعماء إلى أن نذروا أنفسهم للحركة القسامية فقد قدم المجلس الإسلامى الذى يتزعمه الحاج أمين الحسينى لأسرة القسام عشرة جنيهات كتعويض عن فقدها لعائلها كما قدم أيضا خمسة جنيهات لعائلة كل من الشهداء الآخرين، أما (محمد عزة دروزه) مدير عام أوقاف فلسطين فقد اقترح أن تتبنى إدارة الأوقاف تعليم أبناء الشهداء بمدينة (دار الأيتام) بالمجان[٨٥] ونشط الحزب العربى الفلسطينى تحت رئاسة جمال الحسينى فى جمع التبرعات وإرسال المكاتبات إلى مكاتب الحزب فى داخل فلسطين وخارجها يحثها على إرسال تبرعات بأسرع ما يمكن للجنة العليا المختصة بشهداء التنظيم القسامى[٨٦].

صمم رجال القسام على الثأر لشهدائهم ومواجهة الخونة الذين وشوا بهم عند السلطة وتحقق لهم ذلك قبل إلقاء القبض عليهم فقد تم اغتيال (أحمد نايف)[٨٧] أما الذين ساعدوا فى القبض على المجاهدين أو شهدوا زوراً أثناء محاكمتهم فقد اغتالهم المجاهدون فى أوائل عام ١٩٣٧[٨٨] وكان القساميون قد لجأوا فى تلك الفترة إلى سياسة الاغتيال الفردى لإرهاب الجواسيس وسماسرة الأراضى فتخلصوا من الكثيرين فى مقدمتهم الضابط (حليم بسطة) مدير القلم السياسى فى شرطة حيفا ، وكانوا قد هاجموه فى بادئ الأمر فلم يصبه هذا الهجوم إلا بجروح ثم أعادوا الكرة وأطلقوا عليه سبع عشرة رصاصة استقرت فى جسده ولم يبرحوا المكان حتى تأكدوا إنه أصبح جثة هامدة وانصرفوا دون أن يتعرض لهم أحد أو التعرف على هويتهم[٨٩] ومن جانبها لجأت إدارة الأمن العام إلى التقليل من شأن الحركة القسامية بين صفوف رجالها واعتقدت أنه بالقضاء على القسام وشطر من رفاقه والقبض على

بعض القلول الهاربة تكون هذه الحركة قد انتهت دون مخاوف من أية روح وطنية حتى بين أولئك الذين يمكن أن يطلق عليهم الصف الثانى من القساميين وراحت السلطة تغدق على رجالها الذين اشتركوا فى ملاحقة المجاهدين فى جبال (جنين) وقد رصدت من أجل هذا الغرض مبلغ خمسمائة جنيه (لينال منهم كل واحد بحسب نشاطه فى مقاومة تلك العصابة والقضاء عليها(٩٠)).

الحركة القسامية بعد استشهاد القسام:

بعد استشهاد عز الدين القسام قامت السلطة البريطانية بتمشيط مواقع الحادث فتم القبض على بعض الجرحى واعتبرتهم من الأسوى وعوملوا معاملة سيئة للغاية فعلى سبيل المثال الشيخ «نمر السعدى» والذى كانت حالته خطيرة. وامتنع الجنود البريطانيون عن تقديم الماء والطعام إليه بل حالوا بينه وبين اتصال أى من ذويه أو الجمهور به ولما كان الشيخ «نمر» يعتبر خليفة للشيخ القسام فقد راحت الجماهير تتبع أخباره باهتمام شديد وبالذات ما كان يتحلى به من بسالة نادرة إذ على الرغم من إصابته البالغة الخطورة ونزيفه المستمر فقد ظل يقاوم حتى آخر طلقة من ذخيرته(٩١) أما الشيخ «فرحان السعدى» وهو أحد مريدى القسام فقد خرج مع جماعة من الأنصار إلى جبال صفد متسللا من مخبئه داخل الأحراش الكثيفة ورابط هناك حتى إذا ما توصلت إليه القوات البريطانية بادر بمنازلتهم نزالا عاتيا وألقى القبض عليه وعلى مجموعة من الذين سلكوا طريق الجهاد على يديه فى الآونة الأخيرة.

وفى ظل الصراع غير المتكافئ بين قوات مدججة بأحدث الأسلحة وجماعات فدائية تسليحها البنادق فقط بينما قلوبهم محشوة بالإيمان كانت الجماهير تترقب ريثما تنجلى المعركة عن مكاسب سياسية ولم يعد للمواطن العادى من اهتماما سوى ما سيتمخض عنه هذا الصراع بعد شهور من استشهاد الزعيم ففى بيان من اللجنة العربية العليا تقول فيه «أن السلطة عندما قبضت على الشيخ فرحان السعدى فى قرية المزار قبضت عليه وعلى عدد من أهالى القرية ومع أن الحكومة أعلنت فى بلاغها بأنها ستقدم الشهيد وجماعته إلى المحكمة العسكرية فإنها قدمت الشهيد وحده وأخذت الجماعة إلى سجن القدس حيث لايزالون فيه دون محاكمة والسلطة تعذبهم كثيرا بقصد أخذ شئ منهم بشتى الطرق الإرهابية والتعذيب .. والسياسة أحيانا .. ويظهر أن بعض الجماعة صرح ببعض أسماء يقال أن الشهيد كان يعرفهم فقبض على نحو ثلاثين عربيا بموجب أنظمة الطوارئ وحكموا عليهم بالسجن ما بين

٣ إلى ٦ أشهر بتهمة معرفة الشيخ (فرحان السعدى)[٩٢] وكان من الطبيعى أن من يهب روحه فى سبيل الله والوطن أن يتسلح بجرأة منقطعة النظير فقد أعلن هؤلاء الفدائيون أمام المحكمة التى تشكلت لمحاكمتهم برئاسة أحد القضاة البريطانيين أنهم خرجوا لقتال الإنجليز قبل اليهود الذين دنسوا أرضهم الطاهرة[٩٣].

وفى الخامس عشر من أبريل سنة ١٩٣٦ قام جماعة من إخوان القسام وعلى رأسهم (السيد محمود ديراوى) بالهجوم المسلح على سيارات اليهود بطريق نابلس طولكرم وقتلوا ثلاثة منهم وجرحوا آخرين واختفوا عن الأنظار ليعيدو الكرة من جديد ، وأخذ كل فرد يفكر فى الثورة المسلحة وبدأ إخوانِ القسام من العلماء يحرضون الشعب على القتال وكان للعالم الشيخ (كامل القصاب) وزملاءه دورا بارزا فى هذا الصدد [٩٤].

راحت السلطة البريطانية – كما رأينا سابقا- تلقى القبض جزافا على المواطنين سواء من كان ينتمى إلى التنظيم القسامى من عدمه دون تفرقة ووجهت إليهم التهم الكاذبة بعد إلقائهم فى السجون وتعذيبهم بشتى الوسائل وذلك لإجبارهم على انتزاع اعترافات تشفى غليلهم ، وإزاء هذا التعذيب الوحشى كان بعض البسطاء يضطر إلى الادعاء بمعرفة بعض أعضاء التنظيم كى ينجو مما هو فيه ويذكر (أحمد الشقيرى) أنه كان من بين المحامين الذين حاولوا الدفاع عن هؤلاء البسطاء الذى يصفهم بأنهم من الكادحين المنفيين إلى حيفا ومنهم الحمال والبقال المتجول والعامل [٩٥].

ومهما يكن من الأمر فإن التنظيم القسامى كحركة ثورية منظمة لم ينته بمجرد قضاء السلطات البريطانية السريع على قائد التنظيم وبعض إخوانه واعتقال عدد آخر منهم فى أعقاب معركة غير متكافئة ذلك أن عددا من إخوان القسام الذين لم يشاركوا فى المعركة الأخيرة من أمثال (معروف حجازى وتوفيق الزبيرى وناجى أبوزيد) قد تمكنوا من الإفلات من الحصار المضروب عليهم وقاموا مع بقية أعضاء التنظيم الذين لم يكتشف أمرهم بإتمام المهمة الوطنية الثورية التى رسمها لهم القسام[٩٦] ولاشك أن استمرار أتباع القسام فى تلك المهمة الانتحارية كان من أبرز العلامات لهذه المنظمة الثورية التى يصفها «إميل الغورى» بأنها اخطر منظمة سرية وأعظم حركة فدائية عرفها تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية[٩٧] ذلك أن الحركة القسامية منذ بداية التفكير فى إنشائها اعتمدت على التخطيط المنظم البعيد عن الارتجال كما أن من أهم خصائص هذه الحركة هى اهتمامها بالطبقات الكادحة فى الوقت

الذى ظلت فيه هذه الطبقات موضع الإهمال المتعمد بل وقع عليها الظلم والاستغلال من قبل القيادات الوجيهة التى كانت تنظر إلى جماهير الشعب على أنها مناطق نفوذ تتقاسمها هذه الوجاهات فيما بينها حتى أن حزب الاستقلال الذى اعتبر أكثر الأحزاب تنظيما ظل عاجزا عن الوصول إلى التشكيلات الحزبية الفعلية وذلك لعدم اتصاله بالجماهير محافظة من زعمائه على نقائهم الطبقى واكتفت هذه الوجاهات بالصراخ والعويل واستجداء ضغط السلطة البريطانية على العصابات الصهيونية كى تتوقف عن اعتداءاتها المستمرة وليس أدل على ذلك من وقوفها مكتوفة الأيدى أمام الاستيلاء على شرق الأردن وفتح أبوابها للهجرة وشراء الأراضى(٩٨) مثلما حدث فى الحركة القسامية وتراجع هذا المخطط الاستعمارى الجديد كما لم يحرك هؤلاء ساكنا بعد انطفاء جذوة الشعلة القسامية وتعاظم الخطر الصهيونى وهم الذين ذرفوا عليه الدموع الساخنة أمام جماهيرهم ولم يكلفوا أنفسهم مشقة الرد على الحاخام اليهودى «عميئيل» الذى قال على الملأ إن فلسطين لاتتسع لشعبين وأن اليهود لايقبلون أن يشاركهم أحد فى ملكيتها ولذلك على العرب أن يرحلوا منها(٩٩) بل الأدهى من ذلك كله أن هؤلاء الزعماء غضوا الطرف عما لحق بأعراضهم فى سبيل مصالحهم الشخصية ، وما حدث فى قرية صفورية من أعمال الناصرة لهو خير دليل على ذلك حيث اعتدى خمسة عشر جنديا بريطانيا على عفاف فتاة عربية صغيرة لايتجاوز عمرها عشر سنوات وفضوا بكارتها بالإكراه ثم تعاقبوا عليها حتى مزقوا جسدها وانتهت بهم وحشيتهم إلى موت الفتاة وللأسف جاءت صيحات الاستنكار لهذا الحادث الإجرامى من شعب مصر الشقيق(١٠٠) الذى ظل يواسى إخوانه الفلسطينيين على طول الخط.

كان من بين الآثار الهامة التى ترتبت على ثورة الشيخ القسام المسلحة إنها وضعت بذور الإيمان الوطنى الصحيح الذى كان مبعثه القلب والعقيدة لا البرامج الحزبية والمشادات العقائدية فاستيقظت فلسطين على استشهاده ، وعلى الرغم من أن المعركة لم تستمر وقتا طويلا لكن لاشك أن أثرها الروحى كان أكبر من أثرها الكمى وضرب القسام للجماهير القدوة الحسنة والأسوة الصالحة إذ خرج بنفسه فى أول معركة ليحيى فى النفوس روح الثورية ، كان ما فعله القسام أبلغ رد على سياسة زعماء فلسطين إذ ثقف ونظم وقاتل حتى مات شهيدا غير متطلع لجاه أو زعامة ، كما أن المنهج والطريق الذى رسمه القسام ظل شبحا يخيف تلك الزعامات لأنه لايكشفها فقط بل يهددها بفقدان هذه الزعامة ومن هنا حرص وجهاء القوم على

أن يديروا ظهورهم للجو المتوتر الذى تولد عن بدء المقاومة فضلا عن أنهم لم يشاركوا فى جنازة الشهيد على الرغم من أن «أكرم زعيتر» وهو من أبرز وجهاء حزب الاستقلال دعا زملاءه إلى الاشتراك فى تشيع الجنازة إلا أنهم صموا آذانهم عن تلك الدعوة حتى برقيات التعزية التى أرسلوها جاءت باردة باهتة ، مع أنهم تباكوا على القسام بعد وفاته ونعتوه بالألقاب الثورية الرنانة إلا أنهم سرعان ما اجتمعوا بالمندوب السامى البريطانى قبل مضى أسبوع واحد على استشهاد الزعيم وقدموا له مذكرة جددوا فيها مطالب البلاد فى صورة استجداء(١٠١).

وعلى كل حال فإن استشهاد القسام أدى بكل من القيادات التقليدية والجماهير الكادحة إلى السير فى طريقين متوازيين أخذ كل واحد منهما يعمل على ضم الآخر إليه فالقيادات التقليدية وقد رفضت الحركة الثورية القسامية وامتنعت عن الاشتراك فى تشييع الجنازة ثم لقائها بالمندوب السامى بعد موته بقليل أرادت أن تنبه السلطات إلى التدهور السريع الذى يمكن أن يطرأ على البلاد إذا لم ترد بريطانيا على المطالب التى قدمت إليها أما جماهير الفلسطينيين فقد ظلت متمسكة بالمنهج القسامى وصار الناس ينظرون إلى القسام وإخوانه نظرة تقدير واحترام وبالذات فى الأوساط القروية التى ساد فيها الحقد على السياسة البريطانية وأخذت تبد استعدادها للتجاوب مع أى نداء للثورة(١٠٢) كما أن العمال فى المدن بلغت حالتهم حدا لايمكن السكوت عليه إذ حاولوا القيام بمظاهرات فى يافا بعد استشهاد القسام غير أن السلطات رفضت منحهم إذن للقيام بالتظاهر مما اضطر «جمعية العمال العرب» أن ترد على ذلك ببيان أصدرته فى ٦ / ١٢ / ١٩٣٦م قالت فيه (إنه إذا لم تقم الحكومة بحل المشكلة فإن الأيام المقبلة ستضطرنا إلى إطعام العمال خبزا أو رصاصا)(١٠٣) ومن ناحية أخرى فقد كانت جماهير الشعب الفلسطينى تراقب ما يجرى فى مصر حيث بدأت الانتفاضات الجماهيرية منذ ديسمبر سنة ١٩٣٢ على شكل مظاهرات اجتاحت القاهرة وغيرها من المدن الكبرى أدت إلى مصادمات مع قوات الأمن وسقوط قتلى وجرحى وإضراب عام فى القاهرة أجبر الأحزاب على تأليف جبهة وطنية فى ١٠ / ١٢ / ١٩٣٥ طالبت بإعادة دستور ١٩٢٣ والاعتراف عَمَلِيًا باستقلال مصر (١٠٤).

فى الوقت الذى سارع فيه القساميون إلى إعادة تنظيم أنفسهم من جديد إذا بالعناصر المثقفة فى المدن تبدى رفضها لما تقوم به القيادات التى ما تزال تلهث وراء السلطات

البريطانية من أجل الحصول على تنازلات بسيطة لاتحقق للحركة الوطنية أهدافها الأساسية ومن ثم ظهرت تشكيلات جديدة فى المدن الكبيرة بقيادة عناصر شبابية سارت على درب التنظيم القسامى من حيث إيمانها بضرورة التخلص من العناصر البريطانية والصهيونية وكان من أبرزهم «أكرم زعتير» على رأس كتلة نابلس وحمدى الحسينى ومشيل مترى من زعماء جمعية «العمال العرب» فى يافا ، وفى قلقيلية تشكلت لجنة من الشباب الثورى وفى طولكرم تولى سليم عبد الرحمن وقادة الكشافة العرب زعامة كتلة جديدة أخرى ، وفى حيفا تولى «عاطف نور الله» حركة مماثلة ، وكان يساند هذه الكتلة عزة دروزة وعجاج نويهض من زعماء حزب الاستقلال ، وقد اتهمت هذه الكتل بارتكابها أعمال التحريض السياسى ضد كل من السلطات البريطانية والصهيونية بل حملت سلطات الانتداب زعماء تلك الأحزاب مسئولية الامتناع عن دفع الضرائب وإثارة الاضطرابات (١٠٥).

انتهز الشباب الوطنى الذى تأثر بالمنهج القسامى فرصة الذكرى السنوية لاحتلال القوات البريطانية لمدينة القدس والتى تصادف يوم ٩ / ١٢ / ١٩٣٥ ، فعقدوا اجتماعا وطنيا فى يافا تحدث فيه «محمد عزة دروزة» وميشل مترى وجورج مطر وحمدى الحسينى وعيسى السفرى اكرام زعتير وعجاج نويهض وأصدروا فى أعقاب المؤتمر بيانا حملوا فيه السلطات البريطانية مسئولية ما حدث بفلسطين من نكبات وأعلنوا فيه تأييدها لأى حركة ترمى إلى مكافحة الاستعمار فى الأقطار العربية والاستعانة بجيران فلسطين العرب من أجل تأليف جبهة واحدة ضد الاستعمار البريطانى (١٠٦).

لاشك أن استشهاد القسام كان بداية لمرحلة جديدة من الكفاح الوطنى السياسى ضد الإمبريالية وهو وإن لم يتخذ الصفة الثورية الفدائية إلا أنها تعتبر خطوة من أجل حصول الفلسطينيين على بعض حقوقهم السياسية والتشريعية ولم تكن انتفاضه ١٩٣٦ إلا باكورة تلك الأعمال التى خرجت من تحت عباءة الشيخ القسام الذى أزعج السلطة المنتدبة حتى بعد وفاته إذا استدعى مدير المطبوعات أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها وحظر عليهم كتابة أى شئ عن القسام وهدد بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم ولكن السلطة رأت أن روح القسام انتشرت سريعا فى الشعب كله خلال الإضراب الكبير الذى حدث بعد استشهاده بعدة أشهر والذى دام ستة أشهر كاملة ، ويبدو أن السلطات البريطانية فى فلسطين قد أحست بخطورة الوضع ولهذا حاولت إقناع الزعماء بإمكانية دراسة مطالبهم وذلك لمساعدتهم فى الاحتفاظ بما يملكون

من نفوذ وخوفا من أن يؤدى ذلك إلى عدم إمكانية تهدئة الحالة الحاضرة بالوسائل المعتدلة التى اقترحها المندوب السامى البريطانى والتى كانت فى معظمها مبادئ عامة حول إعادة فكرة تشكيل المجلس التشريعى (١٠٧).

والذى يستوقف المرء فى دعوة الشيخ القسام أنها اقتصرت على طبقتى العمال والفلاحين فلم تتجاوزهم إلى الأفندية والضباط وحرص على أن تكون حركة دينية خالصة من الشوائب ويرى البعض أن القسام كان بعيد النظر فى ذلك حيث أن هاتين الطبقتين هما أخلص الطبقات وأكثرهما انقيادا واستعدادا للبذل والتضحية (١٠٨).

هناك قضية هامة بالنسبة للحركة القسامية وهو عبارة عن سؤال يطرح نفسه دائما هل حركة الشيخ القسام ارتبطت بحزب معين من عدمه وهناك اختلافات فى هذا الشأن فيذكر البعض أن القسام كان منتسبا إلى حزب الاستقلال فى حيفا وأنه كان على صلة وثيقة ببعض أركانه(١٠٩) بينما ذكرت مصادر الهيئة العربية العليا أن القسام كان عضوا فى لجنة الحزب العربى التنفيذية وأنه كان أكثر رجال هذا الحزب اتصالا بالمفتى وتعاون معه وأنه انصرف إلى حركته بناء على اتفاق مع رجال الحركة الوطنية وتأييدهم له(١١٠) وأشارت مصادر أخرى إلى أن القسام لم يكن مؤمنا بأى حزب ولم يكن مرتبطا بأى جهة على الإطلاق (١١١).

ومهما يكن الأمر فإن المدقق فى شخصية عز الدين القسام وما مرت به هذه الشخصية من أطوار تاريخية ليصعب معه القول ارتباطه بأى من الأحزاب القائمة، ومن الطبيعى أن يكون للقسام علاقات طيبة بغالبية تلك الأحزاب إلا أن الاختلاف بينه وبين بعض القادة كان نابعا من استخدام الوسائل التى يمكن بشأنها تحرير الأرض الفلسطينية وأوجه إنفاق أموال الأوقاف الإسلامية التى يرى القسام أن تسليح المجاهدين عن طريقها هو أجدى للمسلمين وأنفع من إنفاقها على تزيين وترميم المساجد حتى وإن كان المسجد الأقصى نفسه .

وكان على رأس هؤلاء الذين اختلف معهم القسام الحاج «أمين الحسينى» رئيس المجلس الأعلى الإسلامى الذى يكن له كل تقدير واحترام باعتباره أحد الرموز الإسلامية الهامة والذى كان يرى القسام أنه بإمكانه أن يوجه فصائل الفلسطينين وقواهم الثورية المتباينة إلى الوجهة الصحيحة ، إلا أن عوامل اليأس والإحباط التى تجمعت لدى القسام من موقف الحاج «أمين الحسينى» دفعته لإلقاء آخر ورقة كان يحتفظ بها فى جعبته وذلك عندما أرسل إليه أحد إخوانه «محمود سالم» الملقب بأبى أحمد القسامى ينبئه عن عزمه بالقيام بثورة فى فلسطين للقضاء

على فكرة إنشاء وطن قومى لليهود وكان ذلك قبل نشوب الثورة القسامية بأشهر قليلة وكان الوسيط بين رسول القسام والحاج أمين الحسينى هو الشيخ «موسى العزراوى» أحد أعوان الحاج أمين ، وجاءت إجابة مفتى فلسطين بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل ويبدو أن الحسينى قد فطن إلى أن القسام بدأ يرفع راية العصيان ضده بل يمكنه أن يكون أداة من أدوات هدم نفوذه فى مواجهة السلطة البريطانية . وتذكر ابنة القسام- أنه إزاء هذا الاختلاف فى الرأى بين المفتى والشيخ القسام لجأ المفتى إلى خلع الشيخ عز الدين من وظيفة المأذونية وتجريده من بعض الامتيازات الأخرى التى حصل عليها فى الآونة الأخيرة (١١٢). مثل مجانية التعليم لأبناء القسام وذلك قبيل الثورة بأيام قليلة.

كان ثمة تناقص واضح يمنع التقاء الحركة القسامية بغيرها من الحركات الوطنية الأخرى إذ أن الحركة الأولى تقوم على فكرة الجهاد المسلح ضد الاحتلال وأن القوة وحدها هى التى عن طريقها يمكن إخراج بريطانيا والقضاء على شرائم اليهود ومن هنا لم تكن الحركة القسامية نابعة من حزب معين بل كانت منبثقة من إحساس عميق من رجال القسام - وكلهم من الفلاحين والعمال- بالخطر الذى يهدد حياتهم من جراء استمرار الهجرة الصهيونية المتدفقة ، وأن الوسائل السلمية والطرق المشروعة لم تعد تجدى فتيلا، وذلك هال الإنجليز أن تقوم فى فلسطين ثورة وطنية ضدهم وراعهم أيضا ما خلف استشهاد القسام من أثر فى نفوس أهالى فلسطين فعادت بريطانيا إلى سياسة تهدئة الأوضاع وأعلنت فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ عن عزمها على إشراك العرب فى الإدارة والتشريع ووضعت مشروع تأليف مجلس تشريعى يضم مختلف طبقات الشعب الفلسطينى.

الهوامش

١- من حديث للسيدة ميمنة عز الدين القسام ابنة صاحب الدراسة للباحث فى مدينة «تعز» بجمهورية اليمن الشمالية وقد جرى هذا الحديث فى معهد المعلمين العام فى ٢٥ مارس عام ١٩٨٢ ، وكانت صاحبة الحديث تشغل منصب ، موجهة فى إدارة التفتيش العام بادارة التربية والتعليم بمدينة الزرقا بالأردن. ومبعوث من قبل وزارة التربية والتعليم الأردنية إلى وزارة المعارف بالجمهورية العربية اليمنية وتقول السيدة ميمنة أنها من مواليد ١٩٢٠ وكان عمرها وقت استشهاد والدها فى عام ١٩٣٥ خمسة عشرة عاما.

* تنتسب فصائل عز الدين القسام وهو الجناح العسكرى فى حركة حماس الفلسطينية إلى صاحب الدراسة الشيخ عز الدين القسام وقد بدأت هذه الحركة فى مواجهة الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٦٧ تحت زعامة الشيخ أحمد ياسين وحتى اليوم.

٢- صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، من ١٩٣٦-١٩٣٩ ص١٩-٢٠ دار الهنا للطباعة.

٣- من حديث ميمنة القسام للباحث .

٤- الهيئة العربية العليا لفلسطين العربية ، نشرة فلسطين ، العدد ٩٤ ، كانون الثاني ١٩٦٩ ، ص١٧ .

٥- أحمد طربين: محاضرات فى تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ ، ص٨٩ ، القاهرة معهد الدراسات العربية العليا ١٩٥٩م.

٦- صبحي ياسين : المرجع السابق، ص٢٠ .

7- Government of Palastint: Asurvey of palestine, vol 1. p. 141-142 .

٨- صبحي ياسين : المرجع السابق ص٢١ .

٩- المرجع السابق ، ص٢٠ .

١٠- نشرة فلسطين ، العدد ٩٤ ، ص١٧ .

١١- صبحي ياسين : المرجع السابق ص٢١ .

١٢- من حديث ميمنة القسام للباحث.

١٣- دار الوثائق : مضابط مجلس الوزراء ، وزارة الحربية ، ملف رقم ١٧٦ ، وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني ص٩-١٠ .

عة عيسى الحلبى بمصر سنة

١٦- نشرة فلسطين - العدد ٩٤ ص١٧ .

١٧- من حديث ميمنة القسام للباحث.

١٨- صبحى ياسين : المرجع السابق، ص٢٣ .

١٩- عبد الكريم الكرمى: كفاح عرب فلسطين ، ص٥٩ ، دمشق ١٩٦٤ .

٢٠- صبحى ياسين : نظرية العمل لاسترداد فلسطين ، ص٧٧ ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢١- خليل محمد عيسى (الملقب بأبى إبراهيم الكبير) مقال فى نشرة الثورة الفلسطينية (فتح) تحت عنوان «الثورة الفلسطينية الكبرى) ص٢٥ ، ٢٦ دمشق ١٩٦٩ .

٢٢- فيما يلى أسماء البارزين من أتباع عز الدين القسام: الشيخ محمد الحنفى والشيخ على الحاج عبيد (جبلة / سوريا) عطية أحمد عوض (قرية الشيخ قرب حيفا) يوسف الزيباوى (الزيب / حيفا) محمد الحنفى أحمد (مصر) حسن الباير (برقين) فرحان السعدى (المزار) نمر السعدى (شفا عمرو) صالح طه - أحمد التوبة- نايف المصلح- أبو محمود الصفورى- على إبراهيم زعروره (صفورية) محمود سالم المخزومى (قرية زرعين) ناجى أبوزيد (حيفا) يوسف أبودرة (السيلة الحارثية) محمد الصالح- عبد الفتاح أبو عبدالله (سيلة الظهر) عارف الحمدان (قضاء جنين) محمد الحلحولى (حلحول) محمد الخالدى وأخوه خالد (حيفا) أحمد جابر (حيفا) السيد عرب بدوى (قضاء جنين) السيد أبو على مزرعاوى (المزرعة / القدس) عبدالله يوسف (قرية عرابة) الشيخ عبدالله (كفروان) معروف حجازى (قرية يعبد) توفيق الزيرى (عرابة) محمود ديراوى (دير أبو ضعيف) نايف الزغبى (قرية سويلم) محمد أبو حصب (قباطية) عبد القادر على (عرعرة) خليل محمد عيسى (شفا عمرو) حسنين حمادة (اجزم) عبدالله عقلية (قرية عبلين) محمد العبد موسى (كوكب أبو الهيجاء) الشيخ سليمان ؟ (سمسم / غزة) السيد سرور برهم (حيفا) رشيد عبيد الشيخ (طيرة / حيفا) محمود الخضرى (؟) داود خطاب (؟) .

٢٣- صبحى ياسين : المرجع السابق ، ص٢٤ ، ٢٥ .

٢٤- دار الوثائق - جامعة الدول العربية ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص٢٠ ، ٢١ .

٢٥- كريستوفر سايكس : مفارق الطرق إلى إسرائيل ، ص٢٥٥ ، ترجمة خيرى حماد، دار الكاتب العربى، بيروت ١٩٦٦ .

٢٦- عرفات حجازى: أرض الثورات فلسطين ص٥٤ ، بيروت سنة ١٩٥٩ .

٢٧- صبحى ياسين : المرجع السابق ، ص٢١ .

٢٨- الرابطة العربية ، ص٢٤ ، السنة الأولى، العدد ١٧ ، فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ م.

٢٩- جريدة الأنوار : ص١٣ ، العدد ٦٠٩ ، ٦ آب (أغسطس) ١٩٦١ مقال بقلم عجاج نويهض .

٣٠- ايميل الغورى : فلسطين عبر ستون عامًا، ص٢٥٠ ، دار النهار، بيروت ١٩٧٣ .

٣١- د. عبد الوهاب الكيلالى: تاريخ فلسطين الحديث، ص٢٩٣ ، بيروت ١٩٧٣ .

٣٢- من حديث ابنة القسام للباحث .

٣٣- دار الوثائق : وثاذق عابدين، وزارة الخارجية ، ملف رقم ٣ ، دوسيه (ب) تقرير الحالة فى فلسطين من ١٩٢٩ إلى ١٩٣١ .

٣٤- نشرة فلسطين ، العدد ٧ ص١٥ ، سنة ١٩٦١ .

٣٥- المصدر السابق، العدد ٩، ص٢٢ ، ١٩٦١ .

٣٦- خليل محمد عيسى: المرجع السابق، ص٢٤ ، ٢٥ .

٣٧- صبحى ياسين : المصدر السابق، ص٢٣ .

٣٨- عبد الكريم الكرمى: المرجع السابق، ص١٠٦ .

٣٩- من حديث ميمنة القسام للباحث .

٤٠- دار الوثائق : مجلس الوزراء ، وزارة الحربية / ملف رقم ٣٥ / ح ، خطاب من بعض شباب فلسطين إلى صاحب الجلالة فى مصر يناشده فيه التدخل من أجل إنقاذ «أرض الأنبياء» عن الحالة فى فلسطين من ١٩٢٢-١٩٣٢ .

٤١- صبحى ياسين : المرجع السابق ، ص٢٦ .

٤٢- عبد الكريم الكرمى: المرجع السابق ، ص١٠٧-١٠٨ .

٤٣- دار الوثائق : مضابط مجلس الوزراء ، محفظة رقم ٤٥ / ج . وزارة الخارجية / شئون فلسطين ، عن الحالة الراهنة فى فلسطين ١٩٣٤-١٩٣٥ .

٤٤- جريدة كوكب الشرق / السنة (١١) عدد ٢٠٣٥ ، ٩ مارس ١٩٣٥ .

٤٥- المصدر السابق : القدس فى ٨ أبريل ١٩٣٥ .

٤٦- دار الوثائق ، وثائق عابدين ، تقارير، تقرير من مكتب الحزب العربى الفلسطينى فى ١٥ أبريل ١٩٣٥ .

٤٧- المصدر السابق : اضراب السائقين فى ٤ أغسطس سنة ١٩٣٥ .

٤٨- جريدة مرآة الشرق: العدد ٢٧١ السنة الرابعة ، ٥ أغسطس ١٩٣٥ القدس، تحت عنوان «حزب الفلاحين الفلسطينيين».

٤٩- صالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص١٧٧ ، دار الفتح بيروت ١٩٦٨ .

50- Report by his Majests Government on the Adiministration of Palestine and trans - Jordan for the Year 1935, p. 5 .

٥١- صبحى ياسين : المرجع السابق ، ص٢١ .

٥٢- المصدر السابق ، نفس الصفحة.

٥٣- المصدر السابق ، ص٢٢ .

٥٤- إميل الغورى، المرجع السابق ، ص٢٣٨ ، ٢٣٩ .

٥٥- نشرة فلسطين : الإعداد ٦٥ ، ٦٦ ، ص٥٩ ، أشهر تموز وآب ١٩٦٦ .

٥٦- صبحى ياسين : نظرية العمل لاسترداد فلسطين ، ص٧٩ .

٥٧- Jeffries : Palestine, the Reality p. 651 .

٥٨- Survey of Palestine , vol . 7 , p. 141-142 .

٥٩- عيسى السفرى: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ص٢٥٥ ، الكتابان الأول والثانى ، ترجمة عبد الوهاب الكيالى ، بيروت سنة ١٩٦٥م.

٦٠- جريدة شئون فلسطين ، ص٤٧ ، العدد ٦، بيروت ، يناير ١٩٧٢م.

٦١- بربارة كالكاس : ثورة ١٩٣٦ ، ص٣٥٨ ، مقال فى كتاب «تهويد فلسطين» إعداد إبراهيم أبو لغد ترجمة أسعد رزوق، مركز الأبحاث الفلسطينية ١٩٧٢ .

٦٢- دار الوثائق : وثائق عابدين، ملف (١) ، فلسطين ١٩٣٥ ، بيان إلى العالمين العربى والإسلامى من جمال الحسينى رئيس الحزب العربى الفلسطينى.

٦٣- خليل السكاكينى: كذا أنا يا دنيا (يوميات خليل السكاكينى) ص٢٧ ، أعدها للنشر هالة السكاكينى، القدس ١٩٥٥م.

٦٤- عمر أبو النصر : المرجع السابق ، ص٢٧٢ .

٦٥- من حديث ميمنة القسام للباحث .

٦٦- عبد الكريم الكرمى: المرجع السابق، ص١٠٨ .

٦٧- اللجنة الفلسطينية العليا بالقاهرة ، المرجع السابق ، ص٥١ .

٦٨- الرابطة العربية ، مقال بقلم عبد الله مخلص ، ص٢٢ ، السنة الأولى، العدد (٢٤) فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٦ .

٦٩- المرجع السابق، مقال بقلم أمين سعيد ، ص٢٤ ، السنة الثانية ، العدد ٩٦ ، فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٨ .

٧٠- المرجع السابق : ص٢٩ ، السنة الأولى ، عدد ١٧ ، ٦ سبتمبر ١٩٣٦م.

٧١- جريدة فلسطين : يافا ، ١ / ٣ / ١٩٣٦م.

٧٢- نشرة فلسطين (الهيئة العربية العليا لفلسطين) العدد ٩٤ ، ص١٩ سنة ١٩٣٥ .

٧٣- صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ، ص٢٧-٢٨ .

٧٤- جريدة فلسطين ، يافا ٢٠ / ١ / ١٩٣٥ .

٧٥- جريدة كوكب الشرق، غرة رمضان ١٣٥٤ هـ / ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، مقال تحت عنوان ثورة فلسطين الدامية كيف وقعت ومن هو زعيمها .

٧٦- نفس المصدر السابق.

٧٧- ناجى علوش : المقاومة العربية فى فلسطين ، ص١٠٣ ، من ١٩١٧ إلى ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٦٧ .

٧٨- أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، ص٩٨ ، القاهرة ١٩٥٥ .

تقول جريدة كوكب الشرق أنه قتل شاب من قرية (يعبد) يدعى أحمد الشيخ سعيد لم يكن من جماعة المجاهدين وهو فلاح كان يسكن بيتًا مجاور المعركة ... كوكب الشرق، المرجع السابق، نفس الصفحة.

٧٩- Hymson K. A. in; Palestine under the Mandate (1920-1948) p. 6 London 1950 .

٨٠- جريدة الأنوار : نوفمبر ١٩٣٥ .

٨١- كوكب الشرق، ص١١ فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

تم محاكمة الأسرى فى ١٦ / ١٠ / ١٩٣٦ وهم : أحمد الحاج عبد الرحمن وحسن باير وعرابى بدوى بالسجن ١٤ سنة مع الأشغال الشاقة - أسعد المفلح ونمر السعدى وداود الخطاب ومعروف الحاج جابر بالسجن سنتين. تنفى جريدة كوكب الشرق مزاعم السلطة البريطانية بشأن وجود مثل هذا الحجاب ولكن ابنة الشيخ القسام تؤكد نقلاً عن الشيخ فرحان السعدى أن والدها كان من أشد المؤمنين بالغيبيات وبالقضاء والقدر ومن هنا لاتستبعد وجود مثل هذا الحجاب إلى جانب حملة لنسخة من القرآن الكريم بصفة دائمة- حديث ميمنة القسام للباحث.

٨٢- جريدة فلسطين : يافا ص١٨ ، ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

٨٣- اللجنة الفلسطينية العربية، القاهرة، ص١٣ (عن ثورة فلسطين) سنة ١٩٣٦ .

٨٤- كوكب الشرق ، المرجع السابق ، ص١١ برقية من دولة مصطفى باشا النحاس رئيس وزراء مصر إلى جمعية الشبان المسلمين بحيفا.

٨٥- المصدر السابق ، نفس الصفحة.

٨٦- كوكب الشرق ، ص٩ ، ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٥، مقال تحت عنوان (مساعدة عائلات الشهداء) .

٨٧- مجل العرب ، ص٢٥ ، العدد ٤٥ ، القدس سنة ١٩٣٦ .

٨٨- اللجنة العربية الفلسطينية بمصر، ص٦ ، بيان إلى العالم الإسلامى عن حالة المعتقلين بسجن عكا.

٨٩- جريدة الثورة الفلسطينية (فتح) ص١٤ دمشق سنة ١٩٦٩ .

٩٠- كوكب الشرق ، ص٩ ، ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ مقال تحت عنوان (مكافأة ذبح الشهداء) .

٩١- كوكب الشرق ، المصدر السابق، ص١١ .

٩٢- دار الوثائق ، القضية الفلسطينية، محفظة رقم ٥٨٦ من بيان اللجنة العربية العليا بتاريخ ١٦ / ١ / ١٩٣٧م.

٩٣- جريدة لسان العرب، ص٥ سنة ١٩٥٢ .

٩٤- عمر أبو النصر وآخرون ، المرجع السابق ص٢٧٣-٢٧٥ .

٩٥- أحمد الشقيرى: ٤٠ عاما فى الحياة العربية والدولية، ج١ ، ص١٩٩-٢٠٤ ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٣ .

٩٦- صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين، ص٢٨ -٢٩ .

٩٧- إميل الغورى: المرجع السابق ، ص٢٤٨ .

٩٨- وثائق عابدين : شئون فلسطين ، تقرير رقم (١) بيان إلى العالمين العربى والإسلامى من الحزب العربى الفلسطينى برئاسة جمال الحسينى .

٩٩- جريدة الرابطة العربية ، ١٨ رمضان ١٣٥٥ ، ٢ ديسمبر ١٩٣٦، ص٨٧ ، السنة الأولى، العدد ٢٨ .

١٠٠- دار الوثائق ، وثائق عابدين تقارير ، تقرير رقم ١ عن القضية الفلسطينية من ١٩٣٧ - ١٩٤٨ مقال بعنوان فلسطين تحترق فانتبهوا أيها المسلمون (لجنة مساعدة فلسطين) دار الإخوان .

١٠١- Hymson A. M; Palestine under the Mandate (1920-1948) p. 215 , London 1950 .

١٠٢- ف.م ، سيتون وليامز : بريطانيا والدول العربية ، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ص١٤٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥ .

١٠٣- نشرة المكتب العربى: مشكلة فلسطين ج٢ ، ص١٣٨ ، القدس سنة ١٩٤٦ .

١٠٤- جريدة المقطم ، ٢٣ / ١٢ / ١٩٣٥ .

١٠٥- د. عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص٢٩٧ .

١٠٦- المقطم، ١١ / ١٢ / ١٩٣٥ .

١٠٧- د. الكيالى : المصدر السابق ، ص٩٦ .

١٠٨- أمين سعيد : المرجع السابق، ص٦٥ .

١٠٩- سعدى بسيسو : الصهونية نقد وتحليل ، ص١٧٣ ، حلب ١٩٥٧ .

١١٠- ناجى غلوش : المرجع السابق، ص١٣٢ .

١١١- نجيب صدقة : قضية فلسطين ، ص٥٦ الطبعة الأولى، دار الكاتب ، بيروت سنة ١٩٤٦ .

١١٢- من حديث ابنة الشيخ القسام للباحث.

مصادر البحث

أولا : الوثائق :

١- جامعة الدول العربية ، الوثائق العربية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ١٩١٥-١٩٤٦ ، القاهرة ١٩٥٦ .

٢- الوثائق القومية : وثائق عابدين، تقارير ، تقرير رقم (١) عن القضية الفلسطينية ١٩٣٧-١٩٤٨ .

٣- دار الوثائق : تقارير، تقرير من مكتب الحزب العربى الفلسطينى فى١٥ أبريل ١٩٣٥ .

٤- دار الوثائق : عابدين ، شئون فلسطين ، الفترة من ١٩٣٢-١٩٤٧ .

٥- دار الوثائق : وثائق عابدين القضية الفلسطينية، محفظة رقم ٥٨٦ بيان اللجنة العربية العليا فى ١٦ / ١ / ١٩٣٧ .

٦- دار الوثائق ، وثائق عابدين، ملف رقم (١) عن فلسطين سنة ١٩٣٥ .

٧- دار الوثائق : مضابط مجلس الوزراء، محفظة رقم ٤٥ / ج (وزارة الخارجية) شئون فلسطين ، عن الحالة الراهنة فى فلسطين ١٩٣٤-١٩٣٥ .

٨- دار الوثائق : مضابط مجلس الوزراء ، وزارة الحربية ، ملف رقم ٣٥ / ج الحالة فى فلسطين ١٩٢٢-١٩٣٥ .

٩- دار الوثائق : مضابط مجلس الوزراء، وزارة الحربية، ملف رقم ١٥٦ عن المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطانى والصهيونى .

١٠- دار الوثائق : وثائق عابدين، وزارة الخارجية ملف رقم (٣) دوسيه (ب) من عام ١٩٢٩-١٩٣٦ .

ثانيا: المراجع العربية :

١- أحمد الشقيرى: أربعون عاما فى الحياة العربية والدولية، ج١ ، دار العودة بيروت، ١٩٧٣ .

٢- أحمدطربين : محاضرات فى قضية فلسطين من نشأة الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ ، معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٩ .

٣- اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية، القاهرة ١٩٥٥ .

٤- اميل الغورى : فلسطين عبر ستون عامًا ، دار النهار، بيروت سنة ١٩٧٣ .

٥- أمين سعيد: ثورات العرب فى القرن العشرين ، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبى بمصر سنة ١٩٣٥ .

٦- بربارة كلكاس : ثورة ١٩٣٦، مقال فى كتاب «تهويد فلسطين» إعداد إبراهيم أبو لغد ، ترجمة اسعد رزوق، مركز الأبحاث سنة ١٩٧٢ .

٧- خليل السكاكينى : كذا أنا يا دنيا، يوميات خليل السكاكينى، أعدتها للنشر هالة السكاكينى ، القدس سنة ١٩٥٥ .

٨- خليل محمد عيسى: الثورة الفلسطينية الكبرى (مقال فى نشرة الثورة الفلسطينية) فى دمشق ١٩٦٩ .

٩- سعدى بسيسو : الصهيونية ، نقد وتحليل، حلب سنة ١٩٥٧ .

١٠- صالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح بيروت سنة ١٩٦٨ .

١١- صبحى ياسين : أ- الثورة العربية الكبرى فى فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩) دار الهنا للطباعة.

ب- نظرية العمل لاسترداد فلسطين ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٢- عبد الكريم الكرمى: كفاح عرب فلسطين الحديث، بيروت ، سنة ١٩٦٤ .

١٣- عبد الوهاب الكيالى: تاريخ فلسطين ، بيروت سنة ١٩٧٣ .

١٤- عرفات حجازى : أرض الثورات فلسطين ، بيروت سنة ١٩٥٩ .

١٥- عمر أبو النصر وآخرون: جهاد فلسطين العربية ، بيروت سنة ١٩٣٦ .

١٦- عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ترجمة عبد الوهاب الكيالى، بيروت ١٩٦٥ .

١٧- ف.م. سيتون وليامز : بريطانيا والدول العربية ، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى مكتبة الأنجلو المصرية.

١٨- كريستوفر سايكس : مفارق الطرق إلى إسرائيل ، ترجمة خيرى حماد، دار الكاتب العربى بيروت سنة ١٩٦٦ .

١٩- محمد صادق عرنوس : صوت الشعر فى قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٣٦ .

٢٠- ناجى غلوش: المقاومة العربية فى فلسطين ، ١٩١٧-١٩٤٨ ، بيروت ١٩٦٧ .

٢١- نجيب صدقة : قضية فلسطين ط١ ، دار الكاتب ، بيروت سنة ١٩٤٦ .

ثالثا : المراجع الأجنبية:

1- Government of Palestine: A Survey of Palestine, prepared in December 1945 and January 1946 for the Anglo American Commisson of inquary , 2 vols.

2- Hymson , A. M: Palestine under the Mandate (1920-1948) London 1950 .

3- Jeffires , J. M. N : Palestine the Reality , London 1939 .

4- Report By His Majests government on the Adiminstration of Palestine and Trans - Jordan for the Year 1935 .

رابعا : الدوريات :

١- الأنوار عدد ٦٩ ، آب (أغسطس) ١٩٦١ .

٢- جريدة فلسطين (يافا) ، نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، ديسمبر ١٩٣٥ ، مارس ١٩٣٦ .

٣- الرابطة العربي سبتمبر ١٩٣٦-نوفمبر ١٩٣٦ - أبريل ١٩٣٨ .

٤- شئون فلسطين : يناير سنة ١٩٧٢ .

٥- كوكب الشرق : مارس ١٩٣٥ - أغسطس ١٩٣٥- نوفمبر ١٩٣٥ .

٦- مجلة العرب : العدد ٤٥ ، القدس سنة ١٩٣٦ .

٧- مرآة الشرق : اغسطس سنة ١٩٣٥ .

٨- نشرة فلسطين : (الهيئة العربية العليا) ١٩٣٥- تموز وآب سنة ١٩٦٦ .

خامسا : الأحاديث الشخصية:

حديث شخصى مع السيدة ميمنة عز الدين القسام وذلك فى مبنى معهد المعلمين العام بتعز بجمهورية اليمن الشمالية (الجمهورية العربية اليمنية) فى عام ١٩٨٢ .